*****

سامح فايز

BEST SELLER

حكايات عن القراءة

الدار المصرية اللبنانية


الأعمال الكاملة
t.me/kotbhm

BEST SELLER

حكايات عن القراءة

فايز، سامح.

Best Seller :حكايات عن القراءة/ سـامح فايز

.- ط1.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2019.

184 ص؛ 20 سم.

تدمك: 7 - 221 - 795 - 977 - 978

1- الكتب والقراءة.

أ- العنـوان. 028

رقم الإيداع: 2864 /2019

الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق ثروت القاهرة.

تليفون: 23910250 202 +

فاكس: 23909618 202 + - ص. ب 2022

E-mail:info@almasriah.com

www. almasriah.com

الطبعـةالأولـى:2019م

★★★★★

سامح فايز



حكايات عن القراءة

الدار المصرية اللبنانية

إهـداء

إلــى..

أحمد خالد توفيق - أشرف العشماوي - أحمد مـراد

مقدمة

قراءة أي حدث ليست بعيدة عن البيئة المحيطة وتحولاتها، بل معطيات نضعها في الاعتبار في محاولة تحليل الحدث، مما يسهل عملية الوصول إلى النتيجة المرجوة. تحليل الحدث نفسه قد يفسر مناطق أخرى لها تشابكاتها مع النقطة محل التحليل، ذلك بالضبط ما حاولت القيام به أثناء قراءة تحولات حركة النشر في مصر بعد يناير 2011.

الحديث عن هذه التحولات يجب أن يسير معه على التوازي قراءة لأيديولوجية المرحلة، ودراسة المؤثرات المحيطة من تطور تكنولوجي وفكري.

في البداية كانت دراسة تحولات حركة النشر تسير في طريق دراسة أرقام النشر والتقسيمات النوعية للمطبوعات وتقدم نوعا فكريا على الآخر، غير أن تحليل المنتج الفكري نفسه للسنوات الخمس الأخيرة زاد المسألة تعقيدًا، وتطلب توسيع دائرة التحليل. لنتجاوز مسألة الأرقام إلى محاولة فهم ما الذي حدث؟

بعد يناير 2011 توقفت تقريبًا حركة النشر في دور النشر الكبيرة والمعتمدة في السوق المصري، وعلى مدار ثلاث سنوات لم يتجاوز

عدد الكتب المطبوعة عن إحدى أهم دور النشر في مصر إصدارين أو ثلاثة، وتقلص عدد الإصدارات لدار أخرى إلى الثلث تقريبا، فيما توقفت الحركة لدى دور أخرى لعامين متتاليين، لكن على جانب آخر ظهرت على السطح دور نشر خاصة اهتمت بنشر كتابات الشباب، ومع تراجع حجم مشاركة دور النشر المتعارف عليها في مصر تزايد حجم النشر في الدور الناشئة، التي وصلت لـ 50 دارًا تقريبًا في العام 2015 وانحصرت إصداراتها في نشر كتابات الشباب أولًا، وفي النشر الأدبي ثانيًا. وفي نشر نوعية معينة من الروايات مثل أدب الرعب والخيال العلمي ثالثًا. ومع نجم هؤلاء الكتاب الشباب بشكل لافت بين القراء. وحققت أعمالهم مبيعات لم يشهدها السوق المصري من قبل. إلا في أعمال معينة كانت تمثل طفرات، على العكس مع هؤلاء الشباب. حيث تعددت نجومهم وهيمنت مبيعاتهم، لنجد إصداراتهم تتصدر واجهات أشهر سلاسل بيع الكتب في مصر لسنوات.

ومع عودة دور النشر الكبرى للسوق مرة أخرى، مع هدوء الأوضاع نسبيًا في مصر. بعد عامين من أحداث يناير، اتجهت هذه الدور للنشر للشباب. فظهر الكاتب الشاب أحمد مراد مع دار الشروق المصرية بعد أن صدرت روايته الأولى فيرتيجو عن دار ميريت في العام 2008 وحققت نجاحًا نسبيًا.

لكن وعلى الرغم من حجم المبيعات الضخم الذي حققه الشباب فإن الصحافة الثقافية وحركة النقد في مصر تعاملت معهم بحالة من التجهيل التام، ولو ذكرتهم عرضًا تضعهم في خانة الظاهرة التي

ستنتهي سريعًا، لكن الظاهرة التي ظهرت بوادرها مع ذيوع استخدام الإنترنت في مصر، التي قدر عدد مستخدميها في العام 2000 بمليون مستخدم، لم تنته، وبعد مرور 15 عامًا على هذه الظاهرة أصبح عدد مستخدمي الإنترنت 44 مليونًا حسب تقديرات عام 2014، أي ما يمثل نصف سكان مصر.

اعتماد الشباب في مصر على وسائط السوشيال ميديا والإنترنت ساهم في هذا الانتشار السريع، وزاد من رسوخه، حيث تحولت الظاهرة لواقع لا يمكن تجاوزه.

تحليل حركة النشر بهذا المعنى استلزم قراءة للأيديولوجية التي نشأ عليها هؤلاء الكتاب الشباب، فقراءة سريعة لأعمالهم ومعرفة أعمارهم التي تخبرنا عن جيل ولد في أوائل الثمانينيات توضح أن الإنترنت لم تكن المؤثر الوحيد في هذا التكوين، لكن هناك عنصرا آخر لا يقل أهمية وهو ما اصطلح عليه باسم الصحوة الإسلامية. حيث انتشرت بين كتابات الشباب روايات وأعمال أدبية أطلق عليها أعمال أدبية ذات ضوابط شرعية؛ لا تتجاوز تابوهات الدين والجنس والسياسة، وبدأ الحديث يتردد بين هؤلاء الشباب عن الأدب الأخلاقي والرسالي لتطفو على السطح من جديد نقاشات أدبية خاض فيها الأدباء كثيرًا منذ عشرات السنين، ورغم أن النصرة دائما كانت للأدب بمفهومه الحقيقي حيث الإبداع الذي يكسر كل التابوهات، فإن نوعية الكتابة الأخلاقية أصبح يلوح في الأفق انتصارها على يد

هؤلاء الشباب، وذلك عائد إلى أن هذه الأجيال بالكامل نشأت في عهد الصحوة الإسلامية.

والصحوة الإسلامية -كما ذكر موقع الويكيبيديا- هي مصطلح يشير إلى إحياء دين الإسلام من جديد. أشهر صحوة في التاريخ الحديث بدأت تقريبا في عام 1970 وتتجلى في التقوى الدينية واعتماد الثقافة الإسلامية كاللباس، والمصطلحات، والفصل بين الجنسين. والتعبير والرقابة على وسائل الإعلام، والالتزام بالقيم والأخلاق من منظور الدين الإسلامي. هناك صحوة ثانية نهاية الثمانينيات. كثيرًا ما ترتبط الصحوة مع الحركة الإسلامية السياسية تحديدًا دون الكثير من المجالات والتيار الإسلامي وغيرها من أشكال إعادة الأسلمة، في حين تمت صحوة أخرى اعتمدت العنف والتسلح منهجًا لها رافقه بعض التطرف الديني والهجوم على المدنيين والأهداف العسكرية من قبل الإسلاميين.

مما سبق يتضح أن تحليل حركة النشر في السنوات الخمس الأخيرة سيقودنا إلى فهم مناطق أخرى في مفاهيم وأيديولوجيات الشباب وليس فقط إدراك حركة النشر وحجم المبيعات والتغيرات التي سببتها ما اصطلح على تسميته ثورات الربيع العربي، وذلك ما نحاول تفنيده بشكل أكثر وضوحًا في هذه الدراسة.

* * *

تمهيد

1

المعتاد في معرض القاهرة الدولي للكتاب، وفي معارض الكتاب بشكل عام، أن يلفت انتباه رواد المعارض إصدارات دور النشر من الكتب المختلفة، وفي معرض القاهرة ينتبه الرواد إلى سور الأزبكية الذي هو السبيل في نهاية المطاف. أجنحة دار الهلال أو مكتبة مصر بأسعارها المتاحة، في الخلفية توجد مخيمات ثقافية تنظم فيها الهيئة العامة للكتاب فعاليات ثقافية على هامش المعرض، مخيم الإبداع، المقهى الثقافي، القاعات الرئيسية الموجودة في مبنى صندوق التنمية الثقافية التي في الغالب لا يعرفها أحد. مخيم الفنون كان الأوفر حظا على مدار سنوات، حفلات الغناء والرقص الشعبي تجذب أسماع الجميع من باب الترفيه، بعد رحلة مرهقة لمعرض في أبعد مناطق القاهرة، بل والأبعد بالنسبة للقادمين من الأقاليم.

لكن يوم الثلاثاء 3 فبراير 2015 كان الأكثر إثارة للجدل داخل أروقة معرض القاهرة الدولي للكتاب؛ مراهقون تتفاوت أعمارهم بين 16 و25 سنة يتوجهون جماعات إلى المقهى الثقافي، داخل معرض القاهرة الدولي للكتاب، سؤال يوجه إلى الواقفين أمام باب المقهى

في محاولة لمعرفة من المتحدث في تلك الندوة التي ضمت آلاف الشباب، وتأتي الإجابة: أنه "زاب ثروت".

أحمد ثروت، مؤلف موسيقي وشاعر ومغني راب وهيب هوب، مصري ولد في الأردن عام 1987م، يدرس في كلية هندسة خاصة قسم كهرباء، توقف عن الدراسة في السنة الأخيرة ليتفرغ لعمله الفني. صدر له ديوان "الأجندة" و"سلام" وكتاب "7 أيام" و"حبيبتي".

الجميع التفت لآلاف الشباب، أغلبهم من الفتيات اللائي أصاب بعضهن الإغماء في سبيل الوصول إلى توقيع من نجم الراب والكتابة الشاب، في حين امتلأت صفحات الفيس بوك بدهشة رجالات الثقافة والأدب لأنهم لا يعرفون زاب ثروت، لكن أحدًا لم ينتبه أن الندوة التي سبقت ندوة زاب كانت لتأبين شيخ التربويين، الراحل حامد عمار.

2

ولد حامد عمار في محافظة أسوان 25 فبراير 1921، وكان أول مصري يحصل على درجة الدكتوراه في اجتماعيات التربية من جامعة لندن عام 1952، نال عمار في 2008 جائزة النيل في العلوم الاجتماعية وهي أكبر جائزة في مصر. ساهم في تأسيس معهد الخدمة الاجتماعية بالأردن في 1970، وأسهم في برامج مكتب صندوق الأمم المتحدة لرعاية الأطفال (يونيسيف) الإقليمي في أبوظبي بين 1972 و 1974، وتأسيس مركز التدريب على العمل الاجتماعي في العاصمة العمانية مسقط، وساهم أيضا في وضع وثيقة إنشاء الصندوق العربي للعمل

الاجتماعي التابع لمجلس وزراء الشؤون الاجتماعية العرب في تونس 1982، وتأسيس المجلس القومي للطفولة والأمومة بمصر 1988، وقسم الدراسات التربوية في معهد الدراسات والبحوث العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 2001. لكن أيًا من المراهقين الذين توافدوا لندوة تأبين الراحل عمار فقط ليجدوا مكانًا لهم قبل ازدحام المقهى لم ينتبه لذلك. لا أحد يعرف عمار، جيل كامل جاء فقط لسماع راب زاب ثروت.

3

توجهت لدار دون بمعرض الكتاب واقتنيت كتابات زاب، وبدأت في تصفح كتاب "حبيبتي"، فكرة الكتاب تتلخص في حكاية شاب قرر إرسال خطابات إلى حبيباته، أو كل مؤنث في حياته، الأم والأخت والابنة والزوجة والوطن. محاولة لإعطاء المرأة في المجتمع الشرقي وضعها الذي تستحقه، بعد انتشار حالات التحرش وانتهاك جسدها في شوارع القاهرة، ربما كان ذلك استكمالًا لمشروع غنائي بدأه زاب بأغنية "مين السبب"، والتي طرحت مشكلة التحرش وحققت على يوتيوب مليون مشاهدة قبل حفل التوقيع بأيام.

زاب سطر كتابا موجها لفئة عمرية معينة بين 16 و25 ليضعهم على طريق محبة المرأة بعيدًا عن انتهاك جسدها بالتحرش، وكتبت الخطابات بالفعل كأنها جوابات أرسلها أحدهم بلغة عامية وبسيطة جدا لا تشعر معها أنها خطابات مكتوبة، إنما حالة يستشعرها المراهق

أثناء القراءة، وترك في نهاية كل خطاب صفحات بيضاء ليكتب القارئ هو أيضا خطابا لحبيباته. لكن الإشكالية التي طرحتها أزمة زاب ثروت ليست في ركاكة الكلمات المكتوبة، كما قال المهاجمون، لكن في أن مطربا شاهد أغنيته الأخيرة مليون شخص وله أربع كتب صدرت على مدار ثلاث سنوات ومع ذلك لا يعرفه النقاد ولا محررو الثقافة، بل ولا يعرفه حتى كتاب "البيست سيلر" الذي هو منهم.

4

أنهيت قراءة كتاب حبيبتي واستمعت لأغنية زاب ثروت بعنوان "إحنا جيل وانتو جيل" من كلماتها: "الخروج عن المضمون فكرة مش مألوفة.. والمألوف للعقول فكرة كانت موصوفة.. تحجم كل جامح، تربط كل حي.. تمحي من قاموس حياتك إن بكره جاي.. جاي غصب عني لو هتكون معايا.. كذبة واضحة من البداية وعايشة للنهاية.. إنت عكس فعلي.. إنت كل ماضي".

جيل جديد بدأت ملامحه تتشكل خاصة بعد أحداث يناير، لكنها ملامح لا يعرفها أحد غيرهم، بداية بروايات أحمد مراد مؤلف رواية "الفيل الأزرق" التي نافست في القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية "البوكر"، والتي جاوزت مبيعاتها مليون نسخة، ومبيعات محمد صادق صاحب رواية "هيبتا" التي اقتربت من نفس الرقم، ومبيعات زاب ثروت نفسه الذي باع في يوم ندوته في معرض

القاهرة للكتاب 15 ألف نسـخة، وقبل ذلـك بأيام كان قد صدر الجزء الثالث من رواية "مخطوطة بن إسحاق" لكاتب الرعب حسن الجندي بعنـوان "العائد"، وكانت عودة مثيرة حيث حققت الرواية 11 طبعة في أيامها الثلاثة الأولى بمعرض الكتاب.

التفسـير المنطقـي لهـذه الحالـة هو تمرد طـال الفن كمـا طال كل جنبـات الوطـن. لكن تمرد الأدب تصدره شـباب لم تتجـاوز معارف معظمهم حدود كتب ميكي وأعمال أحمد خالد توفيق ونبيل فاروق.

فـي العـام 2013 تصـدر الشـباب شـباك الأدب بروايـات الرعب، وكانـت الظاهرة التي احتلت صفحات الجرائد والقنوات الفضائية في النصف الثاني من العام 2014، وكان تفسير النقاد لانتشار هذه النوعية من الكتابة في هروب الشباب إلى واقع متخيل أكثر دموية من واقعهم الحقيقي، حتى يشعروا أن هناك دائما حياة أفضل من التي يعيشونها.

لكن وعلى أعتاب العام 2015 غاب نجم أدب الرعب ليحل مكانه الأدب الرومانسـي، وربما كتابـات إيروتيكية. في تقليد واضح لنجاح روايـة "هيبتـا" التـي تدور حـول فكرة الحـب للكاتب الشـاب محمد صادق.

5

تركت المقهى الثقافي وتوجهت إلى صالة 2، جولة سـريعة داخل الصالة تجعلني أشعر بغرابة المكان، أين الروايات التي أعرفها ويعرفها كل قراء الأدب المصري؟

دور نشـر كثيرة نشأت بعد الثورة تتصدر واجهة الأدب، وفي نفس الآن هـي نافذة الشـباب لطبع أعمالهم، لا تطمـع أن تجد عملا لصنع الله إبراهيم أو إبراهيم عبد المجيد أو خيري شـلبي أو إبراهيم أصلان بسـهولة، لا تحـاول البحـث عن أعمـال نجيـب محفـوظ، أنت الآن أصبحت واقعا تحت رغبة سـوق النشـر، لو أراد رعبا فهو رعب، ولو أراد عشقا فهو كذلك.

على أرفف دار "ليان" بصالة 2 ستجد أمامك رواية "شهوة" للكاتبة منـال جلال، وعلى الغلاف نصف وجه امرأة تظهر شـفاهها في لحظة تـأوه، تدور أحداث الرواية عن صراع بين رجل أعمال وطبيب يرغب كل منهما في أن ينسب طفل سِفاح لنفسه.

في نفس الصالة سـتجد دار "غراب"، تعرض رواية بعنوان "فياجرا الوجـع" للكاتبة سـماح أبـو العلا، غـلاف الرواية فـي نصفها الأعلى يظهـر نصـف امرأة وقد تعرت كتفاها وهي تتمدد على سـرير في غرفة نومهـا، تتعـرض الروايـة لمظاهـر التحـرش بالأنثى، وتناقـش قضية التحرش داخل المنزل. تقرأ على غلاف الرواية أنها اجتماعية تتحدث عـن تحـرش يحدث لفتاة مـن أخيها في ظل صمت الأسـرة بل تتطور المسألة لتحرش الأب.

في نهاية صالة 2 سـنجد دار "إبداع" تحمل هي الأخرى بين طياتها رواية "الشـاردة" للكاتبة أمل زيادة، على الغلاف وجه امرأة حزينة في

خلفية سوداء وشفاهها يغطيها اللون الأحمر، وعلى صفحة جود ريدز كتبت المؤلفة عن روايتها، "الحبُّ يدقُّ الباب وقتما يشـاء، وقتها فقط ستدرك قيمة الوقت الـذي تُهدِرُه مـع زهراتك، وقتها فقط ستتحرّكُ مسلوب الإرادة، وقتها فقط ستتعلم فنَّ الغفران والتسامح، وقتها فقط ستدرك قيمة الحياة".

علـى أرفـف المكتبات ستجد رواية صـادرة عن دار نـون بعنوان "غائمـة" للكاتبـة فاطمـة علي ماضي، التـي تحكي أوجـاع أنثى في مجتمع شرقي، وعن نفس الدار صدرت رواية "تراتيل العزلة" للكاتبة ليلى الشويشان. تدور أحداث الرواية حول فتاة جنوبية تمر بكل أوجاع المرأة الشـرقية فتقرر في لحظة ما أن تبحث عن سـعادتها في ممارسة الجنس المثلي مع أخريات، وطوال العمل تحكي البطلةحكاياتها في أحضـان نسـاء عرفتهن طـوال الرحلة. لكـن نظرة من أعلـى تقول إن هناك ظاهرة جديدة قادمة، تسـتغل أوجاع المرأة الشرقية لتحقق جذبا آخر للشباب، بعد أن بدأ أدب الرعب في الانحسار، أو كاد.

لا أذكر ذلك رفضا لنوع من الكتابة، لكنني أطرح سؤالًا عن توجيه السـوق لنوعية معينـة من الكتابة، الحديث عن اسـتغلال يقودنا لطرح أسئلة عديدة، في مقدمتها من يستغل من؟ وكيف؟ وفي نفس اللحظة، أين المؤسسـة الثقافية الرسـمية أو حتى الخاصة التـي حفظت تواجد مصر الثقافي على مدار سـنوات، ثم في النهاية، كيف لهؤلاء الشـباب يتسـللون بـالآلاف للمشـهد الثقافـي دون أن يـدرك خطواتهم أي من

محرري الثقافة أو المشتغلين بالصحافة الثقافية، فإما أن الصحافة الثقافية تعرف وتتجاهلهم، أو أنها لا تعرف، وفي هذه الحالة تكون فقط واجهة لتكتمل أقسام المواقع الإلكترونية التي لا تبحث إلا عن أخبار السياسة.

6

في يوم سابق لحفل زاب ثروت أخذتني قدمي لخيمة سور الأزبكية داخل المعرض، قلت لنفسي في الكتاب القديم أجد بغيتي، لكن واجهني زحام آخر ضم مئات الشباب يصطفون في طوابير أمام خيمة لدار "دون"، وحين سألت عن اسم الكاتب قالوا إنه الشاعر محمد إبراهيم، فأصابتني دهشة أخرى انضمت لسابقيها، فطالما تحدث النقاد عن موت الشعر وأنه زمن الرواية، لكن كاتبا شابا طبع ديوانا في دار نشر شبابية أحياه من جديد. فهل حقا مات الشعر؟ أم أن جيلًا ترك الشعر يموت هو الذي مات؟ أم أن جيلا ثار منذ سنوات ثم ضاع حلمه بسبب الكبار قرر أن يبني حياته بعيدا عن أناس ظن أنهم السبب في تدمير الحلم؟

وأنا أطرح الأسئلة على ذهني رن هاتفي لأستقبل مكالمة من صديق يحكي لي عن طرفة واجهته في معرض الكتاب، قال إنه رأى شبابا يستوقفون فتيات في المعرض ويحدثونهن عن أهمية الحجاب، يستوقفون السافرات منهن في محاولة لتخويفهن من مغبة ترك الشعر طلقا في الهواء.

تناقضات استوقفتني، بين ندوة تكريم شيخ التربويين الراحل حامد عمار، التي لم ينتبه لها أحد، وبين حالات الإغماء التي أصابت فتيات في سبيل الوصول لتوقيع زاب ثروت على كتابه الأخير "حبيبتي"، وبين كتابات تتصدر أغلفتها شفتا امرأة تتأوه من لحظة جنس، وبين أخرى تهرب من واقعها الشرقي إلى ممارسة الجنس مع فتاة مثلها، وبين شباب يقفون هكذا أمام مرأى ومسمع الجميع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويحثون السافرات من الفتيات على ارتداء الحجاب. وبين مثقف كلاسيكي يجلس في مقهى ريش يكتب على صفحته الشخصية فيس بوك مهاجما ذلك التردي الأدبي الذي وصلت له حالة الكتابة، ثم يعود ويعدل ما كتب بعد أن تعثرت يده على الهاتف الخلوي الذي لا يعرف كيف يستخدمه الشباب بسهولة؟ وكيف أنهم بضغطة زر يحشدون الآلاف من معجبيهم؟

* * *

صناعة النشر في عصر شبكات المعلومات

اقتصاديًا لا ينظر الأغلبية للثقافة على أنها مصدر دخل، قديما ربما كانت هذه الفرضية مقبولة؛ ذلك أن معظم منتجات الثقافة في السابق كانت أشياء غير ملموسة، تتلاشى بمجرد عرضها، مثل عروض المسرح والغناء، لكن بمرور الوقت ومع بعض نقاط التحول في المجتمعات اختلفت المسألة، فالمنتج الإبداعي في صورته الأولية أصبح من الإمكان حفظه ونشره في كتاب بعد اختراع المطبعة في القرن الرابع عشر، أو حفظه داخل أسطوانة بداية من القرن التاسع عشر أو فيديو أو كاسيت بالنسبة للصوت والصورة، وبالتالي أصبح بالإمكان استثماره وبيعه. وسواء كان التراث ماديًا أو معنويًا لم يعد بعيدًا عن مصادر الدخل القومي للدول الحديثة، أمريكا كمثال تستورد منتجات تراثية وصناعات يدوية بـ 35 مليار دولار سنويا، قرى بأكملها في الصين تعتمد في دخلها على الصناعات التقليدية، والحرف التراثية، والمستنسخات.

على مستوى صناعة النشر، وفق تقرير لاتحاد الناشرين الدوليين منشور عام 2012 قدر حجم ما ينفقه القراء على الكتب بـ 114 مليار يورو، وتهيمن 6 أسواق على هذه الصناعة، مقتطعة نحو ثلثي القيمة

العالميـة ممـا ينتجه الناشـرون. تتصـدر الولايات المتحدة الأسـواق الســتة بواقـع 26٪ من القيمـة الإجمالية لصناعة النشـر، تليها الصين بواقـع 12٪، ثـم ألمانيا بنســبة تصل إلــى 8٪، في المرتبـة الرابعة تأتي اليابان بنسـبة 7٪، ثم فرنسـا خامســة بنسـبة 4٪، من حصة سوق النشر العالمية، ومن بعدها بريطانيا بنســبة 3٪، وتنتزع بقية الأسواق العالمية مجتمعة 39٪ من إجمالي صناعة النشر.

* * *

صناعة النشر في مصر

حالة من البلبلة أصابت المشهد الثقافي في مصر تحديدًا، وبعض البلدان العربية، فبراير 2017؛ حين نشرت جريدة الحياة اللندنية خبرًا عن أحدث روايات الروائي الياباني هاروكي موراكامي، التي باعت 100 ألف نسخة في يومين، وكانت طبعتها الأولى 700 ألف نسخة، وأضافت دار النشر أنها بصدد إصدار طبعة ثانية 600 ألف نسخة من نفس الرواية، في حين أن الرواية في مصر كنموذج لا تتجاوز طبعتها ألف نسخة، إلى جانب أن هذا الرقم استثناء على الأصل، حيث تنخفض الطبعات في أغلب دور النشر إلى 500 نسخة و100 نسخة للطبعة الواحدة، في مجتمع تعداد سكانه 100 مليون نسمة!

لكن هل تعبر هذه المبيعات عن مشهد القراءة الحقيقي في مصر؟ ربما قراءة سريعة لعدد مستخدمي موقع جود ريدز موقع القراءة الأشهر في العالم تزيد المسألة تعقيدا، ذلك حين نعرف - طبقًا لدراسة غير منشورة للدكتور خالد الغمري - أن مصر هي الدولة رقم 11 على مستوى العالم استخدامًا للموقع بمعدل 509 آلاف مستخدم يقرؤون كتبًا ويكتبون تعليقاتهم عليها ضمن صفحات الموقع، أيضا حين نعرف أن عدد مستخدمي الموقع في الوطن العربي 2 مليون و500 ألف مستخدم!

كتب الجيب!

حتى عام 2005، لم تعرف مصر مصطلح قوائم الأعلى مبيعا "بيست سيلر". النشر في حد ذاته كان مسألة معقدة وحكرًا على دوائر ثقافية معينة، عملية بسيطة فيما عرف بالاقتصاد التقليدي، أنت تنتج عملًا إبداعيًا في شكله الأولي ثم تسلمه إلى الناشر الذي يجهزه لدخول المطبعة ثم يدفع به إلى المكتبات، وعلى المؤلف أن يحمل الكتاب بنفسه إلى محرري الثقافة في الصحف والمجلات والقنوات الإعلامية المهتمة، في الغالب كان المؤلف يتحمل تكاليف نشر الكتاب، الذي لن يعاد طبعه مرة أخرى بعد نفاد نسخ الطبعة الأولى.

هذا الضعف الشديد في صناعة النشر هل كان عائدا لضعف معدلات القراءة؟ قد تكون هذه إجابة سهلة، الناس لا تقرأ، لكن هذه الإجابة تقف في المقابل منها نسبة المبيعات الضخمة لإصدارات وزارة الثقافة المصرية، ومشروع مكتبة الأسرة، الذي تأسس في أوائل التسعينيات من القرن العشرين، حيث كانت تنفد آلاف النسخ من طبعة العنوان الواحد في أيام. هناك أيضا مشروع آخر كان دليلًا على أن المسألة ليست إلا سوء تعامل اقتصادي من الناشر والمكتبة والمؤلف مع عملية النشر، وهو مشروع دار نشر المؤسسة العربية الحديثة لصاحبها حمدي مصطفى، هي دار نشر متخصصة في الكتب التعليمية للمراحل المختلفة، التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي، تأسست في الستينيات من القرن العشرين، غير أن الرجل ذا الفكر

الاقتصادي المتميز تساءل عن مئات الآلاف من الطلاب الذين يدخلون الجامعة وتتوقف معهم نسبة كبيرة من مشتريات الكتب التعليمية، هنا قرر حمدي مصطفى إصدار عدة سلاسل من كتيبات الجيب الموجهة لهذه الفترات العمرية، حققت مبيعات كبيرة جدًا وحطمت مقولة أن الشباب لا يقرؤون، لتؤسس لمقولة أن هناك أزمة في عملية الصناعة والتسويق لها.

في شهر مارس من عام 2000، أسس "داني دبور" موقع "روايات" الذي تخصص في تجميع محبي روايات مصرية للجيب من كل الوطن العربي في مكان واحد. تخرج داني في الجامعة الأمريكية في بيروت، وكان يقيم في قطر قبل أن ينتقل مؤخرًا إلى كندا بشكل دائم، الفكرة استهوت "صالح سمير حداد" وهو المشرف الأول والرئيسي على الموقع، والشخص الذي تولى تحقيق الفكرة وتحويلها إلى واقع. والذي تخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت في علوم الكمبيوتر، ويعمل حاليًا في مجال تطوير المواقع، وهو من قام بتصميم وإنشاء جميع صفحات وأقسام موقع روايات وبرمجتها بنفسه، وهو فلسطيني مقيم حاليًا في كندا.

لكن النقلة الأهم كانت في 27 سبتمبر سنة 2000، حين أطلق «هاني رمزي عبدالله» موقع ومنتدى "شبكة روايات التفاعلية" على الإنترنت. عبدالله، مهندس نظم وشبكات، مواليد 13 يناير 1978، وهو أيضا أحد من ساهموا في تأسيس موقع روايات مع "داني دبور"

اللبناني، و"صالح سمير حداد" الفلسطيني. ثم قام بربط الموقعين ليمثلا نافذة مهمة لكل عشاق نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق في مصر والعالم العربي.

لكن هذه المواقع دون أن تدري حولت آلاف القراء في العالم العربي إلى كتاب، حيث كانت تعطي مساحة لزوار الموقع لنشر خواطرهم وقصصهم ومقالاتهم على المنتديات، فتحولت هذه المواقع إلى ورش تعليم الكتابة، فأنت تجلس بالساعات على هذه المنتديات مثل ما يحدث الآن على موقع فيس بوك، تكتب كل ما يجول بخاطرك، ترسم يومك في كلمات، في البداية لم تكن تريد مسألة النشر، لكن بمرور الوقت أدركت لذة الكتابة، ومع ديمومة الكتابة تعلمت من هذه الورش ومن ردود الأصدقاء وتعليقاتهم، أين مواطن الخطأ، وبدأت في تصحيحها، وبدأت في استساغة ما تكتب، ثم بدأ الحلم يراود الجميع، حلم النشر.

حلم النشر:

في عام 2005 تأسست أول دار نشر في القاهرة بدأت كمنتدى أدبي على الإنترنت يجمع المهتمين بالكتب، لتحمل دار النشر اسم نفس الموقع "دار ليلى".

نستطيع أن نتحدث عن عام 2005 قائلين، قبل وبعد، ذلك أن التسارع الدرامي لاستخدام شبكات المعلومات وسطوة مواقع التواصل الاجتماعي أصبح أيضا سوقًا كبيرًا للترويج لأي شيء وكل

شيء، فبعد أن كان الكاتب بإمكانه الوصول لعشرات من القراء قبل عام 2000 صار من السهولة بمكان أن يصل إلى ملايين ممن يستخدمون الإنترنت، ففى عام 2010 كمثال وصل عدد مستخدمي موقع واحد على الشبكة العنكبوتية "فيس بوك" إلى مليون مستخدم، وارتفع هذا الرقم بشكل درامي عام 2016 إلى 34 مليون مستخدم داخل مصر فقط، هذا التسارع استفاد منه جيل كامل من شباب الكتاب لتسويق أعمالهم بين ملايين المستخدمين والذي كان سببا عام 2013 أن رواية الفيل الأزرق للكاتب الشاب أحمد مراد باعت 100 ألف نسخة خلال العام الأول من صدورها حسب تصريحات الناشر.

وفي نفس العام ارتفع عدد دور النشر الخاصة المسجلة في اتحاد ناشري مصر من 260 دار نشر عام 2013 إلى 1100 دار نشر عام 2018 لمواكبة هذه الزيادة.

عام 2012 فقط تأسست 50 دار نشر مهتمة بنشر أعمال الشباب من لهم مدونات إلكترونية للكتابة على الإنترنت، والتي وصل تعدادها إلى 150 ألف مدونة عام 2005 بحسب دراسة عن النشر صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة، ذلك ما دفع أيضا اتحاد الناشرين المصريين عام 2013 لوضع قواعد لممارسة مهنة النشر بعد 60 عاما من تأسيسه! لضبط عملية النشر التي فاقت تصوراته لكنه لا يزال عاجزًا عن إتمام عملية الضبط، خاصة وأنه لا زال يتعامل مع هذه التطورات الدرامية بنفس العقلية التقليدية غير المستوعبة لما يحدث.

سوق موازٍ:

الطفرات الكبيرة في عالم النشر في مصر لم يستفد منها صانع الكتاب الأصلي، حيث تسببت هذه الطفرة إلى جانب عجز الصانع في مجاراتها إلى ظهور ما يعرف في علم الاقتصاد بـ"السوق الموازي". أسباب ظهور ذلك السوق الذي تنتشر فيه الكتب غير الأصلية "المزورة" التي تؤرق نوم صناع النشر في الوطن العربي لا تعود إلى المزور، بل السبب هو صانع الكاتب نفسه، الناشر.

قبل عام 2005 كان نشر مؤلف لكتابه لا يتم في مصر إلا عن طريق دوائر معروفة، سواء الانتماء لمراكز وزارة الثقافة الرسمية المنتشرة في العاصمة والمحافظات المختلفة، أو الانضمام لتجمعات المثقفين في منطقة وسط البلد في العاصمة القاهرة، هذا أيضا معناه أنك ستخرج متأثرا بنفس الخلفية الثقافية لهذه الجماعات، لكن ما حدث مع سيطرة شبكات الإنترنت أنك أصبحت أمام منتج أولي نشأ عن ثقافات متعددة ومختلفة صعب احتواؤها في وعاء واحد، هذه الزيادة الكبيرة على مستوى المنتج والقراء التي قابلها عجز من مؤسسات النشر في مصر على مستوى التوزيع وتوفير الكتاب في المحافظات البعيدة أو على مستوى التسويق تسبب في ظهور سوق موازٍ يقوم بطبع نسخ غير أصلية لنجد أن 90٪ من مكتبات جنوب وشمال مصر كمثال جميع ما يباع فيها من كتب هي غير أصلية؛ لأن السوق الموازي عمل على توفير ما عجز عنه الناشر الأصلي.

تقرير حالة القراءة في مصر الذي أعده الدكتور زين عبد الهادي أستاذ علم المكتبات بجامعة حلوان أشار إلى صدور 30 ألف عنوان في مصر عام 2016، طبع من هذه العناوين 20 مليون نسخة في جميع فروع الكتابة، سواء الأدبية أو الكتب التعليمية، أي بمعدل كتاب لكل خمسة مواطنين، وهو متوسط لا تعبر عنه نسبة المبيعات في دور النشر المصرية وذلك معناه أن السوق الموازي الذي يسيطر على معدلات البيع هو الرابح الوحيد في ظل ضعف القوانين التي لم تتغير منذ تأسيس اتحاد ناشري مصر في الخمسينيات.

عصر جديد:

ما سبق يتطلب من صناع النشر في مصر أن يبدؤوا في التخطيط لدخول عصر جديد من صناعة النشر، على مستوى التسويق، والتوزيع، والضغط عن طريق النقابات والاتحادات المختصة لإصدار قوانين لضبط المسألة، وأيضا معالجة بعض عوامل الفساد داخل دوائر النشر الرسمية في مصر.

إلى جانب الوضع في الاعتبار تراجع معدلات استخدام الكتاب الورقي لصالح الكتاب الإلكتروني فهو شكل جديد للمنتج متأثر باقتصاديات المعرفة والاستخدام المرتفع لشبكات المعلومات، فلم يعد الكتاب الورقي هو الوسيط الوحيد لكن إلى جانبه هناك الكتاب الإلكتروني، أو الكتاب الصوتي، وهو أحدث هذه الأشكال الذي يجعل من السهولة عليك قراءة كتاب حتى لو كنت تجهل القراءة والكتابة، فأنت هنا تسمعه مسجلًا لا تقرؤه مكتوبًا.

أيضـا ظهور العديد من سلاسـل المكتبات يسـاهم في علاج أزمة توزيع الكتاب وتسـويقه لكنها لا تتناسـب حتى الآن مـع الطلب على الكتـاب، أضـف إلى ذلـك تحول هذه السلاسـل إلـى محتكر يفرض علـى الناشـرين نوعيـة الكتـب التي سـيعرضها فـي فروعـه، ويرفض أخرى، العديد من المكتبات في القاهرة ترفض عرض دواوين الشعر والمجموعـات القصصيـة بحجـة أنها لا تباع. وفي واقعـة بأحد فروع المكتبـات الشـهيرة بالقاهرة ثبـت حصول أحد الموظفيـن على مبالغ مالية من الأدباء الشباب لوضع أعمالهم في قوائم الأعلى مبيعًا لإيهام القـارئ أنهـا أعمـال جيدة يشـتريها القـراء، أيضا بعض الناشـرين في القاهرة يفرضـون على المكتبات وضع إصداراتهـم في قوائم الأعلى مبيعا مقابل حصول الموزع على نسـبة خصم تكاد تصل إلى 70٪، في مقابل إيهام القارئ من خلال سلاسـل المكتبات الشـهيرة أن الكتاب مرغـوب من القراء، وهو ما نجحت فيه إحدى سلاسـل المكتبات مع روائي شـاب أصبح الأعلـى مبيعًا في القاهرة بالفعـل وتحقق مبيعات رواياته الآن عشرات الآلاف من النسخ في حين أنها أعمال رديئة جدا على المسـتوى الفني. ويرى الناشر وصاحب المكتبة أن ما حدث يقع في إطار التسويق والتجارة المشروعة وليس إيهامًا للقارئ!

* * *

هل متوسط قراءة العربي ٦ دقائق؟!

يستند معظم من يذكر أعداد القرّاء إلى تقرير التنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة، وتقرير التنمية الإنسانية العربية الصادر عن المؤسسة نفسها، بعضهم أيضًا يشير إلى التقرير العربي للتنمية الثقافية الصادر عن مؤسسة الفكر العربي.

ذكر مصادر الأعداد يقطع الشكّ باليقين، ويجعل من الصعب إثبات أية فرضية مغايرة، بأن العربي ربما يقرأ، أو أن متوسط قراءته 6 دقائق في السنة، ربما تمّت زحزحته ليصبح عشر دقائق، أو أكثر.

فعبارة "متوسط قراءة العربي 6 دقائق في السنة"، هي الأكثر تداولًا في وسائل الإعلام العربية خلال عدة أعوام خلت، يلحق بتلك العبارة جملة أخرى، توضّح حجم الفجوة؛ حيث تسرد غالبية التقارير الصحفية أن متوسط القراءة في الدول الأوروبية، حوالي 200 ساعة سنويًا.

واستنادًا إلى تلك الأرقام الهزيلة، سطرت عشرات المقالات بحثًا عن إجابة السؤال الأهم خلال الأعوام الماضية؛ متى يُستنهض شغف المعرفة لدى "أمة اقرأ"؟!

أسواق تهيمن على القراءة:

وفق تقرير صدر عام 2012 عن "اتحاد الناشرين الدوليين"، قدّر حجم ما ينفقه القرّاء على الكتب بـ114 مليار يورو، وتهيمن 6 أسواق على هذه الصناعة، باحتكارها 71 في المئة منها، وتتصدّرها الولايات المتحدة بحصة 26 في المئة، تليها الصين "12 في المئة"، وألمانيا "8 في المئة"، واليابان "7 في المئة"، وفرنسا "4 في المئة"، وبريطانيا "3 في المئة".

حجم الصناعة يشير إلى معدلات القراءة المرتفعة في الغرب، غير أن محاولة إدراك حجم تلك القراءة عربيًا مسألة معقدة جدًا؛ فلا توجد أرقام محددة يمكننا الاعتماد عليها للإجابة عن سؤال: هل يقرأ العرب؟ إلى جانب أن معظم مراكز صناعة الكتاب ترفض الإفصاح عن أرقام بيع الكتب، التي نستطيع أن نستدلّ من خلالها على حجم قراءة المواطن العربي، بعض تلك المؤسسات لا يقوم بعمل ذلك الحصر من الأساس.

اتحاد الناشرين العرب:

رئيس اتحاد الناشرين العرب، محمد رشاد، أكد أن معدلات القراءة في المنطقة العربية "مرتفعة جدًا"، يتضح ذلك من حجم المبيعات والمشاركات في معارض الكتاب بالمنطقة العربية، لافتًا إلى أن الحديث عن 6 دقائق متوسط قراءة الفرد العربي، مسألة "عارية تمامًا من الصحة".

رشـاد قال أيضًـا إنّه لا توجد قاعـدة بيانات يمكـن الاعتماد عليها فيما يخصّ حركة النشـر وبيع الكتاب في المنطقة العربية، وأشـار إلى أن واحـدة من أمنياته، هي أن يعمل على تدشـين قاعدة البيانات تلك، غير أن المسألة ليست بالسهولة التي قد يظنها البعض.

في السـياق نفسـه، ذكر رشاد أن من أسـباب صعوبة تحديد قواعد بيانـات حقيقيـة لمعدلات بيـع الكتاب وقراءتـه في المنطقـة العربية، تفشـي ظاهرة الكتب المزورة، وهي تجارة "رائجة عربيًا"، تعتمد على طبـع وتصويـر الكتب وبيعهـا، دون احتـرام حقوق الملكيـة الفكرية، وحقوق المؤلف والناشر، لافتًا إلى أن مصر "في مقدمة الدول العربية التـي تعاني أزمة عدم احتـرام حقوق الملكية الفكريـة"، منوهًا إلى أن ذلـك ربما يتسـبَّب في فـرض عقوبـات اقتصادية مسـتقبلًا، إن لم يتم تحجيم هذا السوق.

حديث رئيس اتحاد الناشـرين العرب، محمد رشاد، وضع فرضية ضعْف متوسـط قراءة العربي في مأزق، غير أن المأزق الأكبر هو عدم وجـود بيانات رسـمية نسـتطيع الاعتمـاد عليهـا. وقد بـاءت محاولة للتواصل مع بعض الناشرين في القاهرة، لمعرفة أرقام الطباعة والبيع، بالفشل سريعًا؛ إذ رفض أغلب الناشرين الإفصاح عن أرقام المبيعات، وعلل بعضهم ذلك بأنه لا توجد أرقام محددة بالفعل، وأن دور النشـر لم تكن تهتم بمسألة حصر نسبة طبعات الكتب ومبيعاتها.

هل يقرأ العربي؟

مديـرة النشـر فـي الـدار المصريـة اللبنانية، نرمين رشـاد أشـارت إلـى أن الملاحَظ هو زيادة عدد النسـخ المباعة، لافتـة إلى أن مبيعات الـدار، قبل يناير 2011، كانت فـي "تزايد"، معتمدة على البيع للجهات الحكومية والمكتبات العامة في مصر والدول العربية، لكن بعد الثورة "تراجعت" الحكومات والجهات عن الشـراء من الناشـرين؛ بسـبب ضعف الميزانيات، في حين "تزايدت" القوة الشرائية للقرّاء.

وأضافت أن متوسط المبيعات للكتاب الواحد الذي تستطيع الدار أن تحكـم من خلالـه أن الكتاب ضمـن قائمة الأكثر مبيعًـا من عدمه، هو 10 آلاف نسـخة، وذكرت أن كتّاب الدار الأكثر مبيعًا مثل: أشـرف العشـماوي، وعصام يوسف، ونور عبد المجيد، وشريف عرفة، ورشا سـمير، تخطت مبيعاتهم 10 آلاف نسـخة للكتـاب الواحد، وأن ذلك الرقم ربّما يكون خلال مبيعات عام واحد، وبعضها على مدار أعوام.

ونوهـت نرمين رشـاد، أيضًا، إلـى أن مبيعات روايـة "ربع جرام"، للكاتـب والإعلامـي عصام يوسـف، جـاوزت ربع مليون نسـخة في عشـرة أعـوام، مشـيرة إلى أن ذلـك الرقم ربمـا يتجاوز مليون نسـخة مباعة، لو وضعنا في الاعتبار عدد النسـخ المزوَّرة المباعة دون احترام حقوق المؤلف والناشر.

الأرقـام التـي أشـارت إليها الناشـرة نرمين رشـاد تشـير إلى فجوة حقيقية بين معدلات القراءة الهزيلة المنشورة، وبين عدد النسخ المباعة

من الكتب، الأرقام نفسـها أكدتها مصادر من سـوق النشر في القاهرة؛ إذ أشار أحد العاملين في صناعة الكتاب بمصر إلى أن مبيعات الروائية التونسية خولة حمدي، جاوزت 850 ألف نسخة، من روايتها الأشهر "في قلبي أنثى عبرية"، وأن رواية أحمد مراد "الفيل الأزرق"، حقّقت مليون نسخة مبيعًا، منذ صدور طبعتها الأولى عام 2013.

بينما يقول هاني عبد الله، مؤسس "دار الرواق"، "بأنه رغم تأسيس دار الـرواق عام 2011، فإنّه يعمل في سـوق صناعـة الكتاب قبل ذلك بأعـوام، ومـن خلال رؤيته لسـوق الكتاب، أوضح أن "معـدل القراءة عربيّـا ارتفـع كثيرًا بعد ثورات الربيع العربي، بنسـبة 40٪، والشـريحة العمرية الأكثر قراءة بين تلك النسـبة للشـباب، من عمر 16 عامًا حتى 23 عامًا، وقد تمثل نسبة 67٪ من القراء في مصر".

ذلـك الارتفـاع بين تلك الشـريحة العمريـة، من وجهـة نظر هاني عبـد اللـه، يفسّـر توجهات الكتـب الأعلـى مبيعًا في مصر؛ فالشـباب يميلون لنوعية معينة من الكتب، هي التي تسـيطر على سـوق مبيعاته، وليس معنى ذلك عدم تواجد نوعيات أخرى من الكتب، لكنّ الشريحة المستهدفة منها قليلة.

زمن الرواية:

بخصـوص نوعيـة الكتـب المقـروءة؛ مصريًـا وعربيًا، قـال هاني عبـد اللـه: "الرواية تحتـل المرتبة رقـم واحد، وفي الأعـوام الأخيرة

تراجعت بعض نوعيات الكتب، التي انتشرت قبل 2011، مثل كتب التنمية البشرية"، لافتًا إلى أن دار الرواق بدأت في تقديم تلك النوعية من الكتب بشكل مختلف، مثل؛ كتاب سندريلا سيكرت، الذي وإن كان كتاب تنمية ذاتية، لكن كُتب، شكلًا ومضمونًا، على غير نوعية كتابات التنمية البشرية السابقة، وبالفعل حقّق مبيعات مرتفعة، بحسب تصريحات الناشر.

وأردف هاني عبد الله: "هناك نوعيات من الكتب كانت موجودة من قبل، لكنها لا تحقق المبيعات المطلوبة وسط شريحة القرّاء الشباب، مثل كتب التاريخ"، موضحًا أن الدار عالجت ذلك بتقديم كتب التاريخ بطرح مختلف، مثل كتابات التاريخ التي يقدمها وليد فكري؛ إذ حققت كتاباته، خلال الأعوام الأربعة الأخيرة، 54 ألف نسخة مبيعًا، لافتًا إلى أن مبيعات رواية "هيبتا"، للكاتب محمد صادق، جاوزت مليون نسخة حتى الآن، سواء كنسخ أصلية صادرة عن الدار، أو نسخ غير شرعية تباع في الأسواق دون احترام حقوق المؤلف والناشر.

ومن أكثر الأسواق التي تحقق رواجًا ومبيعًا للكتب، بحسب تصريحات مؤسس دار الرواق، السوق السعودي، والإماراتي، والكويتي، ومن أكثر الوسائل التي تؤثر في حجم مبيعات الكتاب، في الأعوام الثلاثة الأخيرة، السوشيال ميديا، مثل: تويتر وفيس بوك والانستجرام.

القارئ السعودي:

محمد مفيد مدير دار دون المصرية، قال: "لا يوجد مقياس معين نستطيع من خلاله تحديد توجهات القراءة للشريحة المستهدفة في المعارض الدولية المختلفة للكتاب". وضرب مثلًا بالقارئ السعودي الذي كان لأعوام مهتمًا بالرواية، لكن منذ سنتين تقريبًا، بدأ القارئ السعودي يميل للكتاب الفكري، خصوصًا بعد 2013، فالجمهور عمومًا متقلِّب جدًا، وقد كنا نركز في بدايات الدار على الروايات والقصص والأعمال الأدبية عمومًا، وعندما بدأنا المشاركة بالمعارض الخارجية، اكتشفنا أن ذائقة القراءة تختلف من دولة لأخرى، وذلك كان سببًا مباشرًا في تغيير خطة النشر". وتابع: أصبحنا ننشر إلى جانب الأعمال الأدبية، أعمالًا فكرية وتاريخية وسياسية، مثل: موسوعة تراث مصري، والأعمال الفكرية للدكتور عبد الوهاب المسيري، وموسوعة المشاهير لهايدي عبد اللطيف، وسلسلة فتح مصر لعمرو منير.

ومنذ بداية تواجدنا في سوق النشر، "نؤمن بأن دورنا هو النزول للناس، لنأخذهم بعد ذلك إلى مرتبات أكبر من نوعية القراءة".

الناقد السعودي، محمد العباس، أكد حديث محمد مفيد، حول وضع القراءة في السعودية، قائلًا: "أعتقد أن الكتابات الفكرية هي الأكثر جذبًا للقارئ السعودي؛ لأنها كتب المهتمين فعلًا بالقراءة، سواء من أجل الجدل أو المعرفة الأكاديمية، أو الاطلاع الشخصي،

أمّا الأدب، خاصةً الروايات والمجموعات الشعرية الخفيفة؛ فهي أدوات الناشئة للتباهي والحضور في المشهد".

تقرير اليونسكو:

التقارير الصحفية التي تحدثت عن أن متوسط قراءة الفرد العربي 6 دقائق في السنة، أشار بعضها إلى تقرير اليونسكو، وأشارت تقارير أخرى لتقرير مؤسسة "الفكر العربي" عن حالة القراءة في المنطقة العربية، غير أن أحدًا لم يحدّد العام الذي صدرت فيه التقارير.

في البحث في تقارير مؤسسة الفكر العربي، نجد أن التقرير العربي الثالث للتنمية الثقافية، الصادر عن مؤسسة "الفكر العربي"، عام 2010، ذكر في فصل بعنوان "حركة التأليف والنشر في العام 2009، ماذا قرأ العرب في العام"، أن حركة النشر في الوطن العربي تفتقر إلى نظام إحصائي شامل، وسعى التقرير إلى إجراء إحصائيات لحركة النشر في الوطن العربي، استهدفت الفئة العمرية من 15 إلى 65 عامًا، من خلال عينة عشوائية من المواطنين العرب، تقريبًا 1215 شخصًا، إلى جانب 160 ناشرًا عربيًا، وأوضح التقرير أن الفئة الغالبة على عينة البحث أكثرها من مصر وتونس.

التقرير أشار أيضًا إلى دراسات سابقة، لفتت إلى انخفاض نسبة القراءة بين العرب عمومًا، جاء في التقرير: "إذ أشار البعض مثلًا، إلى دراسة قاربت بين متوسط ساعات القراءة عند العرب والأوروبيين، فجاءت النسبة، بالطبع، لمصلحة الأوروبيين، متوسط القراءة في

الدول الأوروبية حوالي 200 ساعة سنويًا، بينما تنخفض هذه الساعات وتتقلص إلى 6 دقائق سنويًا للفرد العربي".

وذكر التقرير "أن هذه المقارنة قد تكون غير منطقية؛ لأن المتعارف عليه علميًا، يتمثل في ضرورة إجراء المقارنة بين متناظرين في الظروف كافة (الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية،...إلخ)، فأين التناظر بين الوضع في العالم العربي والعالم الأوروبي؟".

تقرير مؤسسة الفكر العربي، اعتمد في عمليات الإحصاء لمتوسط بيع الكتب ونشرها، ومعدلات القراءة للفرد العربي، على تقرير التنمية البشرية في المنطقة العربية، الصادر عن معهد اليونسكو للإحصاء.

واللّافت للانتباه في المسألة أن التقرير الذي ينسب إليه متوسط 6 دقائق قراءة للفرد العربي، صدر عام 2003، وأنه منذ ذلك التاريخ لم يتم تقديم أية تقارير جديدة عن متوسط القراءة، ومعدلات طباعة الكتاب العربي ونشره وبيعه!

بالعودة إلى تقرير التنمية البشرية عام 2003، وبعض التقارير اللاحقة؛ نقرأ في الهامش العبارة الآتية: "نظرًا لعدم توافر بيانات حديثة، فقد جرى استخدام تقديرات صادرة عن معهد اليونسكو للإحصاء 2003، وهي تقديرات تستند إلى معلومات واردة في تعدادات السكان واستقصاءات قديمة ويجب توخّي الحذر عند التعامل معها".

لكنّ قراءة سريعة لعدد مستخدمي مواقع السوشيال ميديا، المهتمة بالقراءة في الوطن العربي، تشير إلى طفرة كبيرة في متوسط القراءة،

خصوصًا في الأعوام التي أعقبت ثورات الربيع العربي، يناير 2011، تجعل الاعتماد على تقارير صادرة عام 2003، مسألة غير موضوعية للحكم على متوسط قراءة الفرد العربي.

Good Reads

"جود ريدز"؛ موقع القراءة الأشهر في العالم، يضع مصر في المرتبة الـ 11 للدول الأكثر استخدامًا له، بحسب دراسات غير منشورة لأستاذ علم الحاسوب بجامعة عين شمس خالد الغمري، ويصل الجمهور المصري الذي يهتم بقراءة الكتب على "جود ريدز"، إلى قرابة 509 آلاف قارئ، يمارسون قراءة الكتب وكتابة التعليقات عليها.

ويلاحظ أن مجمل الجمهور العربي على "جود ريدز"، لا يتجاوز 5.2 مليون مستخدم، طبقًا لإحصاء عدد مستخدمي الإنترنت عام 2016، فإن مستخدمي السوشيال ميديا في العالم: حوالي مليارين ونصف المليار، نصيب فيس بوك: مليار و860 مليونا، منهم أكثر بقليل من 30 مليونا في مصر.

يستخدم موقع "جود ريدز"؛ حوالي 50 مليون مستخدم في العالم؛ أمريكا رقم واحد بواقع 20.3 مليون، السعودية رقم 13 بواقع حوالي 432 ألفا، الإمارات رقم 26 بواقع حوالي 263 ألفا، الجزائر رقم 31 بواقع حوالي 206 آلاف، المغرب رقم 33 بواقع حوالي 202 ألف، العراق رقم 50 بواقع حوالي 114 ألفا، الأردن رقم 51 بواقع حوالي

113 ألفا، تونس رقم 54 بواقع حوالي 95 ألفا، لبنان رقم 59 بواقع حوالي 87 ألفا، الكويت رقم 66 بواقع حوالي 69 ألفا، عمان رقم 68 بواقع حوالي 57 ألفا، فلسطين رقم 69 بواقع حوالي 58 ألفا، سوريا رقم 70 بواقع حوالي 57 ألفا، قطر رقم 71 بواقع حوالي 56 ألفا، السودان رقم 72 بواقع حوالي 55 ألفا، البحرين رقم 80 بواقع حوالي 35 ألفا، ليبيا رقم 92 بواقع حوالي 29 ألفا، اليمن رقم 119 بواقع حوالي 13 ألفا، موريتانيا رقم 151 بواقع 3.5 ألف.

ما سبق يشير إلى فجوة حقيقية بين واقع سوق القراءة في الوطن العربي، والتقارير المنشورة التي لم تتغير منذ عام 2003، ويشير أيضًا إلى النهوض الهائل الذي سبّبته مواقع التواصل الاجتماعي لحال القراءة، وإلى ضرورة تدشين قواعد بيانات تسعى إلى فهم الأرقام الجديدة، المطروحة على ساحة القراءة في الوطن العربي.

* * *

دولة الكتاب الأعلى مبيعا

1

هنـاك دولتـان للأدباء: دولة شـرعية يعرفها النقـاد، ويؤطرون لها، ويؤسسون النظريات الأدبية بناء على ما يخرج من دور نشرها، وهناك دولة أخـرى لا يعرفها النقاد، لا نقول يتناسـون وجودها، أو يحاولون تغييب هذه الدولة، لكن هم بالفعل لا يعرفون عنها شيئا.

منـذ 5 أعـوام، تحديدا الجمعة 19 سـبتمبر 2014 اسـتضافت قناة CBC ثلاثة من الكتاب الشـباب من تلك الدولة التي لا يعرفها النقاد، أحدهـم يكتـب أدب الرعب، وهو الكاتب الشـاب محمـد عصمت، والآخر الكاتب الشـاب محمد صادق صاحب رواية "هيبتا"، والثالث شـريف أسـعد الكاتـب السـاخر. مـن يدقق فـي الحلقـة جيـدًا يدرك المشـكلة، والأسـباب، والنتائـج، فقـط من أسـئلة المذيـع وإجابات الكتـاب، ربمـا لـم يقصد أحدهـم ذلك، المؤكـد أنها جـاءت عفوية، لأن أحدهـم لا يدرك أن هناك دولتين ويحاول أن يتعامل مع المسـألة فقـط علـى أنها مجايلة، وأن هناك جيلا يسـلم الرايـة لجيل آخر، لكن فـي الحقيقـة هـي دولة جديـدة تصل بجذورهـا الفعليـة على الأرض إلـى العـام 2003، حين أصـدر الكاتب الشـاب أحمد العايـدي رواية

"أن تكون عباس العبد"، ليصدم الجميع بشكل مختلف في الكتابة، والصدمة الأخرى، حين نتحدث عن مبيعات لرواية بالآلاف في زمن كانت أعظم الأسماء لا تبيع أعمالهم سوى عشرات النسخ.

لكن قبل أحمد العايدي كان هناك العرابان اللذان خرج هؤلاء الشباب من رحم كتاباتهما، إنهما الكاتبان أحمد خالد توفيق، ونبيل فاروق.

ردود أفعال الكتاب والأدباء ومحرري الصحافة الثقافية على حلقة CBC مع الكتاب الشباب لم تكن غريبة، بل هي متوقعة، البعض سأل: من هؤلاء؟! آخرون هاجموا مباشرة، واعتبروها مسألة "قلة أدب"، لكنهم تغافلوا عن أن هؤلاء الكتاب الشباب وصلت مبيعات رواياتهم لعدة آلاف من النسخ وهى مسألة تستحق الدراسة.

2

في العام 1960 أسس الأستاذ، حمدي مصطفى "المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع"، ثم كان أول ظهور لكتب "سلاح التلميذ" التي تخصصت في المناهج التعليمية لسنوات المرحلة الابتدائية، ثم في العام 1970 صدرت كتب "المعلم" لمناهج المراحل التعليمية الإعدادية والثانوية، بيد أن المؤسسة أدركت سوقًا شرائيًا ضخمًا لا ينتبه إليه أحد، فقررت أن تحافظ على قارئها بإصدار سلاسل "روايات مصرية للجيب"، والتي بدأت مع الدكتور نبيل فاروق في العام 1984، بسلسلة "رجل المستحيل" و"ملف المستقبل"، وكان لها ذلك حيث حققت انتشارا هائلا في مصر والعالم العربي، ثم في أوائل

التسعينيات انضم للمؤسسة الدكتور أحمد خالد توفيق بسلسلة "ما وراء الطبيعة" والتي رفضت اللجنة المخصصة لقراءة أعمال توفيق في البداية ما كتبه، واعتبرتها أعمالا ضعيفة، لكن المؤسسة عرضتها على لجنة أخرى، وكان الرد بالموافقة، المفارقة في المسألة أن الذي أشر بالموافقة على اعتماد أحمد خالد توفيق كاتبا كان الدكتور نبيل فاروق من كتاب المؤسسة، ليكوّنا بذلك ثنائيا أرق المشهد الثقافي المصري بما أنتجاه من رعيل كامل من شباب الكتاب، تشكلت خلفيته الثقافية على كتاباتهما. رعيل في أغلبه لا يعرف جيل الستينيات، ولا السبعينيات، ولم ينتفض مع جيل التسعينيات ليؤسس ثقافته المستقلة الخاصة، ولا علاقة لأغلبه باليسار، ولا ماركس، وعلاقة أغلبهم بنجيب محفوظ ما يشاهده من أعماله المصورة في السينما والتلفزيون، لكن حين تسأل أحدهم لمن تحب أن تقرأ؟ مباشرة يحدثك عن نجيب محفوظ، بعد أن يكون قد ذكر خالد توفيق ونبيل فاروق، فقط لأن المسألة أصبحت نمطية، ولأن محفوظ بعد نوبل صار هو الأشهر وترديد اسمه على اللسان يعطي ثقلا للمتحدث.

بعد مرور 16 عاما من كتابات نبيل فاروق و8 سنوات من كتابات أحمد خالد توفيق بدأ محبوهما في مصر والعالم العربي يفكرون في وسيلة تجمعهما في صعيد واحد.

3

تحولت المسألة من رغبة شاب في طباعة كتاب ومشاهدة كلماته مطبوعة إلى تجارة رابحة أدرك مغزاها البعض، وتعددت الدور،

لدرجة أن بعض الكتاب الشباب انفصلوا عن دور النشر وأسسوا دورهم الخاصة، ومع حدة المنافسة بدأت بعض دور النشر تصنع نجوما للكتابة، يرفعون من اسم الدار بين أوساط الشباب، كل منهم يحاول بطريقته أن يحصل على أكبر قدر من القراء، وتتلخص هذه المحاولات في ثلاثة أشياء، هي مثلث صناعة النجم.

(أ) قوائم الأعلى مبيعا:

مع تعدد دور نشر الشباب كان الاهتمام بصناعة نجم شاغلها دائما، هنا كان من المهم أن تلعب هذه الدور على مسألة الأعلى مبيعا "البيست سيلر"، لكن تلاعبت بعض دور النشر في قوائم الأعلى مبيعا، وعدد الطبعات. فأصبح من الممكن أن تجد كتبا في هذه القوائم ربما لم يشترها أحد من قبل، لكن القارئ الشغوف بمسألة الأعلى مبيعا سريعا ما يتلهف لاقتناء هذه الإصدارات، ولأن الطبعة الواحدة كانت تمثل عدد النسخ فيها 2000 نسخة أو 1000 كحد أدنى بدأت دور نشر الشباب تقلل من عدد النسخ في الطبعة الواحدة إلى 500 نسخة وأحيانا 200 و300، حتى تجاري مسألة الأعلى مبيعا، حتى أصبحنا نسمع عن كتاب حقق 20 طبعة مثلا وقد لا يكون حجم مبيعاته جاوز العشرة آلاف نسخة، الرقم الذي كان يتحقق مع ثلاث أو أربع طبعات فيما سبق.

(ب) التراس الأدباء:

لعب موقعا فيس بوك وتويتر دورا مهما في صعود نجوم هؤلاء الشباب، حيث أصبح لديك القدرة أن تصل إلى آلاف الشباب

بـ «كلكة» نقرة على الكيبورد، كفيلة بأن تصل المعلومة إلى الآلاف، وكما كان هناك تلاعب في الطبعات كان هناك تلاعب أيضا على هذه المواقع، فأصبح كما لنجوم الكرة ألتراس يدافعون عنهم حتى وإن أخطأ الفريق، أصبح هناك ألتراس للكتاب الشباب يدافعون عنهم وينشرون صورة مغايرة للجميع أن صاحب هذا الكتاب "لم تنجبه ولّادة"، وظهرت جروبات على الفيس تضم آلاف الأعضاء للدفاع عن كاتب أو كتاب.

(ج) الكتب المزورة:

ينتهي ثالوث صناعة النجم بعد ذكر دور قوائم الأعلى مبيعا وذكر ألتراس الأدباء بمسألة الكتب المزورة. عادة عندما يشتهر كتاب كانت بعض المطابع الصغيرة تلهث لطباعته بشكل غير شرعي دون مراعاة حقوق المؤلف أو الناشر، وكان تزوير كتاب دليل على نجاحه، والمسألة كانت تتسبب في نجومية الكاتب، لكن مؤخرا أصبحت بعض دور نشر الشباب تقوم بعمل ذلك بالاتفاق مع هذه المطابع في مقابل نسبة تحصل عليها الدار، لنجد فجأة على الأرصفة كتبا لشباب لم يكن يعرفهم أحد وفجأة أصبحت الأرصفة التي يشغلها باعة الصحف مكتظة بكتابات هؤلاء الشباب. المسألة التي ينخدع لها القارئ ويظن أن الكتاب مقروء فيقتنيه.

4

في العام 2010 تقريبا بدأت دور نشر كبيرة مثل دار «الشروق» تنتبه إلى الكتاب الشباب، فطبعت الدار رواية «تراب الماس» للكاتب

الشاب أحمد مراد، الذي سبق أن حققت روايته "فيرتيجو" نجاحا إثر طبعها في دار "ميريت" للنشر، والتي أعيد طبعها بعد ذلك في دار العلوم طبعة يجهلها البعض، ثم أعادت دار الشروق طبعها مرة أخرى عام 2012، رواية "فيرتيجو" التي ظلت شهورا على أرفف دار "ميريت" لا يشتريها أحد وجدت طريقها فجأة وبقوة بين الشباب، لتتلقف الدار الأكبر في مصر ذلك الخيط، وتغذيه، ومع هذا النجاح الهائل الذي حققه مراد حيث جاوزت حجم مبيعاته الـ 100 ألف نسخة في عام صدور الرواية، وقدمت روايته "الفيل الأزرق" فيلما سينمائيا تصدر شباك التذاكر، بدأت دور نشر أخرى تنتبه، لنرى شبابا تنشر أعمالهم في "الدار المصرية اللبنانية" ودار "العين" ودار "نهضة مصر"، ثم دخلت إلى سوق النشر أسماء أخرى اهتمت بالنشر للشباب خاصة.

في معرض القاهرة الدولي للكتاب 2014، أحمد مراد هوجم بشدة، حيث كان من الصعب أن يغفل النقاد رواية تحقق هذا الحجم من المبيعات وتتفوق على مبيعات روايات نجيب محفوظ التي تصدرها نفس الدار، فكان رد النقاد أن أعمال مراد ظاهرة لن تستمر، ووصلت بهم المسألة إلى اتهام القارئ بتدهور ذوقه في القراءة، وبدأ الجميع ينتبه، لكنهم انتبهوا لهؤلاء القادمين، دون أن يعرفوا من أين جاءوا!

* * *

الكتابة الجديدة والدعاة الجدد

1

انشغل الجميع بالهجوم على صعود نجم هؤلاء خاصة في السنوات الأربع الأخيرة التي أعقبت أحداث يناير 2011 متهمين إياهم بتدني مستواهم الأدبي وأن صعودهم ظاهرة سوف تندثر، لكن أحدا لم ينشغل بدراسة هذه الحالة التي خرجت من رحم ثقافي مختلف، أنت تتحدث عن شباب اعتمدوا في تكوين ثقافتهم في المقام الأول على ما سطره نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق، ومع هذا العشق الذي تحقق لأدب الرعب والخيال العلمي كانت قراءاتهم للكتب الأجنبية أيضا في هذا السياق، بالطبع كانت هناك استثناءات من القاعدة، وخرج من رحم هذا الجيل كتاب شباب لهم ثقافاتهم وقراءاتهم المتنوعة ولهم إصداراتهم التي تشبه المعتاد، لكن الأصل العام في بقية الكتاب الشباب هو خروجهم من رحم ثقافة مغايرة. وأن كتاباتهم الأدبية مختلفة وأطرت لعالم أدبي جديد. عالم لم يخرج من رحم اليسار الذي سيطر على المشهد الثقافي لسنوات، إنما خرج من رحم الدعاة الجدد وسطوة الصحوة الدينية التي برزت نهاية الثمانينيات.

2

في العام 2003 قابلت مصادفة بعض أصدقائي على منتدى روايات، في خطبة للداعية الأشهر عمرو خالد، في مسجد المغفرة بمنطقة العجوزة، كان المسجد يمتلئ عن آخره بشباب من جيلي يكبرونني بعام أو يصغرونني بعام لكننا في نفس الفترة العمرية تقريبا، كان عمرو خالد وبقية الدعاة الجدد الذين تلحفوا صورة مختلفة عن الشيخ الداعية مكفهر الوجه، يدفعون الشباب إلى القراءة، لكنهم أيضا كانوا يضعون قواعد لنوعية القراءة. مثال على ذلك ما قاله الداعية الإخواني راغب السرجاني في إحدى خطبه بعنوان "القراءة منهج حياة"، حين تحدث فيها عن أهمية القراءة لنهضة الأمم، ومن ثم وضع مراتب عشرا لنوعية الكتب التي يجب أن يقرأها الشباب، بدأ الشيخ أول مرتبة بالقرآن الكريم، ثم السنة النبوية، ثم كتب شرح الحديث فسير الصحابة، وبقية المراتب على نفس الشاكلة، لكن الغريب في المسألة وهو الذي يشغلني هنا، هو أن الداعية وضع الأدب في المرتبة الأخيرة، واعتبرها قراءة ثانوية، هنا أصبحنا أمام جيل من القراء والكتاب تربى على يد هؤلاء الدعاة، جيل يضع قيودا لإبداعه حين يكتب أو يقرأ، جيل قد تصدمه كلمة بذيئة في رواية «من وجهة نظره» أو وصف لعلاقة جنسية بين بطلي رواية، أو رؤية شاطحة عن الله والأديان، نحن هنا لا نتحدث فقط عن مجرد كتابة جديدة في اللغة أو طريقة السرد، لكن نتحدث أيضا عن كاتب له خلفية جديدة في الثقافة والقراءة والاطلاع وحتى المثل الأعلى، فالجيل الذي كان

مثله الأعلى إبداعات نجيب محفوظ وإدريس أصبح مثله الأعلى كتبا للجيب، كان الهدف الأساسي من خلقها هو أن يقرأها الأطفال في فترة ما من العمر.

المسألة التي تحتم علينا أن نتعامل بجدية مع دولة الأدباء الجدد وأن ننتبه إلى أنه موج قادم سوف يزيح ما أمامه ليؤسس دولته، ربما لم يكتمل هذا الجيل بعد، ربما لم يخرج كل ما لديه من أسلحة في الكتابة، لكنهم يحاربون كي يحجزوا مقعدهم في مقدمة الصورة.

3

تحولات المرحلة مع أواخر التسعينيات أحالت المسألة من مجرد ارتفاع حجم طبع الكتاب الديني إلى تأسيس جيل من الأدباء الشباب يحملون الفكر الأخلاقي بين ظهرانيهم ليخترقوا عالما رفضوه لسنوات باعتبار الكتابة الأدبية وقراءة القصص والروايات والأشعار من باب العلم الذي لا ينفع.

فمع بدء صناعة النشر بعد دخول المطبعة مع الحملة الفرنسية وتأسيس مطبعة بولاق عام 1822 كانت حصيلة ما نشرته خلال الفترة من 1820 إلى 1894 يقترب من 867 إصدارا، كان لكتب اللغات النصيب الأكبر منها ثم مجال العلوم التطبيقية ثم مجال العلوم الاجتماعية. تغيرت تلك الإحصاءات طبقا لما أورده كتاب حركة النشر في مصر الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أي في الفترة من 1850 إلى 1899 حيث بلغ عدد

الكتب المطبوعة 9538 احتلت الديانات مركز الصدارة فيها بمجموع 2604 كتب تلتها الآداب بعدد وصل إلى 1647.

ومع ظهور ما عرف بالصحوة الإسلامية نهاية الثمانينيات من القرن العشرين تنحت جانبا مبيعات فروع الكتب المختلفة أمام الكتاب الديني، الذي أعاد تشكيل وجدان مواليد الثمانينيات والتسعينيات، وهم أنفسهم الذين صاحبتهم التحولات الأكبر والأخطر في مصر والعالم العربي بعد ثورات الربيع العربي في السنوات الخمس الأخيرة.



وتشكل وجدان هذا الجيل اعتمد في المقام الأول على ظهور الدعاة الجدد الذين كانوا سبيلا لتقديم صورة مختلفة للدعوة الإسلامية بعد موجة الإرهاب التي طالت العالم العربي أوائل التسعينيات واستمرت حتى اليوم، فكان داعية بشكل مختلف لا يلتزم بالمظهر الديني المعروف للدعاة وخطباء المساجد.

4

في تقرير أعده الدكتور زين عبد الهادي رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية السابق بمساعدة بعض الباحثين عن ملامح سوق التأليف والنشر في مصر نشرته مؤسسة الفكر العربي عام 2012 وأعاد الدكتور زين نشره على حلقات بجريدة القاهرة المصرية بداية من العدد 746 تحدث فيه عن نهاية عصر الكتب الدينية في سوق القراءة، مؤكدا أنه رغم تصدر الكتاب الديني سوق النشر في

مصر للسنوات العشر الأخيرة قبل الثورة المصرية فإن، تبعا للحالة الاقتصادية، أغلب هذه الإصدارات هي إعادة نشر لكتب التراث التي سقطت حقوق ملكيتها الفكرية وهنا يتراجع عدد العناوين الجديدة من الكتاب الديني ويبرز للأمام عدد العناوين في الأدب وفي مجال العلوم الاجتماعية، مضيفا أنه تبعا لذلك يمكن القول بأن أكثر الكتب نشرا تقع في قطاع العلوم الإنسانية والاجتماعية وهي تلك التي تضم بين طياتها السياسة والاقتصاد والقانون والتربية والخدمة الاجتماعية.

ويؤكد التقرير الذي أعده الدكتور زين عبد الهادي أن ما أثير خلال السنوات السابقة عن أن المصريين أكثر اهتماما بالدين من السياسة والأدب ليس صحيحا، والحقيقة أن الأرقام المتعلقة بنشر الكتب تقول ذلك، كما أن اتجاهات القراءة للكتاب الشبان تكشف عن ذلك أيضا، حيث إن إنتاج المصريين في مجال العلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية معا يمثل رقما ضخما يصل إلى ثلث إنتاجهم بعدد عناوين يصل إلى 33٪ من النسبة المئوية إجمالية لهذا الإنتاج.

التقرير أضاف بعدا مهما أظن أنه الأهم في كل ما سبق، وأنه المحور الذي يجب أن تدور حوله أي دراسة تسعى لتحليل تحولات النشر في السنوات التي أعقبت ثورة يناير 2011، هو إقرار الدراسة أن اتجاهات الشباب نحو التأليف يحكمها نوع من التمرد على الموروث الثقافي، حيث يكاد يحتل الأدب نصف العقل الشاب في مصر، فالرواية والقصة القصيرة تحتل نصف العدد الذي ينتجه الشباب

فيمـا يحتل الشـعر النصـف الآخر. وأضـاف التقرير أن هنـاك ممثلين لتيـارات دينية جديدة وصاعـدة بين الشـباب، وأن خطابهم الإعلامي الرقيـق والمتسـامح والداعـي إلى الأمل يجـد صدى كبيـرا أيضا بين الشـباب، وهو ما تشابك مع كتب التنمية البشـرية التي وجدت صدى واسـعا بين الشباب، إلى الدرجة التي يمكن معها القول بأن الكثير من الشباب الذي يؤلف كتبا في الرواية أصبح يمزج بين القيم الدينية وبين خصائص كتب التنمية البشـرية ويخلطها بالروايـة، مما خلق جمهورا كبيرا بين الشباب الذي يجد ضالته في الأنواع الثلاثة.

5

ما حدث في سـوق النشـر منـذ العام 2011 وحتـى الآن ليس بعيدا عن تراكمات 40 سنة سبقتها شكلت وجدان الشباب الآن، بين صحوة إسـلامية زائفة قادتها جماعات متطرفة وصدرت إنتاجها الفكري على أنـه رؤية جديدة للدين في حين أنه إعادة إحياء وطبع لكتب تراثية غير محققة وبدون تجديد أو اجتهاد، ثم التفاف هؤلاء على الشباب تحت مسـمى الدعاة الجـدد، في الوقت الـذي غابت فيه المؤسسـة الثقافية الرسمية، أو المستقلة والتي عاشت في دائرة مغلقة عليها دون السماح لأحدهم بالمرور، مما دفع الشباب للتمرد والبحث عن بدائل أخرى، بدائـل بعيدة عـن الخطـاب الديني الزائـف، وأيضا بعيدة عن سـيطرة دوائـر بعينها على الثقافة وحركة النشـر، فالتمرد الذي حدث في العام 2011 مجرد توابع لتمردات فكرية سابقة تبناها هذا الجيل، ربما ليست

تمردات على أسس فكرية سليمة، لكنه اعتمد على المتاح من نتاج فكري ربما كان أكثره مشوها وغير صحيح وحاول بقدر الإمكان وبناء على طبيعته المتمردة الوصول إلى الأصلح.

وسيلة التمرد كانت عبر شبكة الإنترنت، وحسب التقرير الذي أعده الدكتور زين عبد الهادي وبحسب كتاب حركة النشر في مصر، اللذين تناولا حالة النشر في الفترة من 2000 وحتى 2013 كلا بدوره تنامي استخدام الإنترنت في مصر منذ دخولها العام 1991 وارتفع من حوالي مليون مستخدم فقط في العام 2000 ليصل إلى 33 مليونا تقريبا في العام 2013 وفي مايو 2014 وصل العدد إلى 44 مليونا بنسبة زيادة قدرها 33.82٪ وهو ما يعني أن نصف عدد سكان مصر يستخدمون الإنترنت حاليا، فيما وصل مشتركو الإنترنت عبر الهاتف المحمول إلى حوالي 19 مليونا في مايو 2014، وبحسب الإحصاءات التي نشرت في كتاب حركة النشر في مصر فإن تقريرا رسميا في أغسطس 2008 قال إن هناك 160 ألف مدونة مصرية تمثل 30.7٪ من مدونات العرب بنحو 490 ألف مدونة، ويقدر عدد المدونين المصريين بأكثر من 162.2 ألف مدون غالبيتهم في الفئة العمرية 20 -30 سنة. وفي مسح قام به مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار التابع لمجلس الوزراء المصري ذكر أن المدونات أقرب إلى اليوميات وأكثر المستخدمين لها شباب. وأكد المسح أن المحتوى السياسي للمدونات 17٪ ثم الكتابات الشخصية 14٪ والثقافية 12٪ والدينية 7٪.

هذه المدونات تحولت إلى كتب مطبوعة بنفس الآلية التي سردناها سلفا، عن طريق جمعيات تعاونية بين الشباب تكفلت بالنشر بعيدا عن مؤسسات النشر التي شكلت عقبة في طريقهم، أو عن طريق دور نشر أنشئت خصيصا للشباب مثل: اكتب ودار ليلى والمصري وكيان ودون، وغيرهم.

* * *

الزومبي يحكم مملكة أدب الرعب

1

استكمالا لحالة الفصام بين دولتي الكتابة في مصر التي تحدثنا عنها في فصل "إمبراطورية الكتاب الأعلى مبيعًا". سيجد القارئ في جولة سريعة على مكتبات بيع الكتب، ركنين مختلفين، أحدهما يحمل كتبا يغلب عليها نوعية أدب الرعب والكتابة التي تتحدث عن الجن والسحر ومصاصي الدماء، وبداية من عام 2015 انضمت لهذه القائمة كتب السيرة الذاتية، التي عادة ما يكون الإقبال عليه شديدًا، وركنا آخر يضم كتابات الشباب الخارجين من المنظومة الثقافية الكلاسيكية، التي عادة لا يقربها أحد. جرب أن تنظر داخل المكتبات لتتأكد بنفسك من هذا التقسيم. لكن زيادة في التأكيد قمنا بطرح سؤال على كتاب الدولة التي لا يعرفها النقاد تضمن استفسارًا عن معرفتهم بأسماء كتاب شباب يمثلون دولة الثقافة الكلاسيكية أو الرسمية، وكانت الردود متوقعة حيث جاء أغلبها بالنفي، وكان الرد في معظمه، "آسف، لا أعرف هذه الأسماء"، وكانت نفس الإجابة التي دائما ما يجيب بها أصحاب الدولة الكلاسيكية حين يسألون عن كتاب الرعب أيضا.

"الزومبي" و"الفمباير"، و"المذؤوب"، شخصيات روائية سيطرت على عالم الرواية في جيل الشباب خاصة بعد ثورة يناير 2011.

سلاسل كتب الجيب، "ما وراء الطبيعة"، و"فانتازيا" التي ظل الشباب يعيشون في ظلها لسنوات طويلة أفرزت جيلًا حين أراد أن يكتب لم يجد سوى هذه العوالم التي أسس لها أحمد خالد توفيق في العدد الأول من سلسلة "ما وراء الطبيعة" التي صدرت عن "المؤسسة العربية الحديثة" عام 1993، تحت عنوان "مصاص الدماء وأسطورة الرجل الذئب" والتي كان بطلها رفعت إسماعيل.

2

كاتب الرعب عمرو المنوفي، ولد في العام 1980، وتخرج في كلية التجارة، وفي محاولة لفهم سر الإقبال على هذا النوع من الكتابة يرى المنوفي أن الرعب يلعب على وتر الخوف بطريقة مباشرة أو غير مباشرة باستخدام تيمات مختلفة، مثل الخوف من المجهول والجن والأشباح، والموتى الأحياء، فطبقا لرؤية المنوفي فإن كاتب الرعب يقهر مخاوفه على الورق، وهكذا القارئ أيضا، ربما كان ذلك ترجمة لتطور أدب الرعب بعد يناير 2011، نفس المسألة تم رصدها في الثلاثينيات في أمريكا بعد فترة الكساد الكبير حيث أقبل الناس على الروايات الخيالية التي تصف الأبطال الخارقين والأحداث الخيالية المروعة. استكمالا لهذه الرؤية يقول المنوفي: "إن الشعوب تبحث عن الخطر المقنن، الذي يمكن إنهاؤه بغلق الكتاب أو الخروج من

السينما، حيث يهربون من واقع مخيف غير متحكم فيه لواقع خيالي تم السيطرة عليه".

ازدهار أدب الرعب بهذه الكثافة بعد الثورة يؤكد أن الكتاب والقراء يهربون لواقع أكثر ألما يخفف وطأة ما يرونه حقيقة أمامهم كل يوم.

لكن مع ذلك فإن كتابة الرعب وجدت طريقها بين الشباب قبل ثورة يناير، مثل الكاتبة الشابة سالي عادل والتي بدأت النشر على مواقع الإنترنت عام 2009.

سالي عادل، وفي محاولة لتفسير ازدهار أدب الرعب، تقول: "كوننا جيلًا تربى على إصدارات أحمد خالد توفيق، ونبيل فاروق، يجعل من غير المستغرب انتشار الرعب والمغامرة والفانتازيا في كتاباتنا، وكوننا جيل الثورة كذلك، الذي تمكن من كسر حاجز الخوف بداخله وأبهر نفسه والعالم كله، يجعل من غير المستبعد كذلك كتابة الأدب الذي يعالج المخاوف من أجل مواجهتها وليس تزكيته".

سالي عادل، قال عنها أحمد خالد توفيق إنها: "خليفة سلسلة ما وراء الطبيعة".

وتبرر كتابتها للرعب فتقول: "أدب الرعب هو المجال الذي يشبع مساحات الكتابة لدي، مثل مساحة التجديد حين تتناول فكرة توقن أنه لم يستخدمها أحد قبلك كأن تنفذ حرفيًا وصية الأمهات المأثورة ليلة الزفاف "ادبح لها القطة"، أو ما قد يحدث حين تنام على شريط القطار

من أجل أن تتحقق لك الخضّة التي تسمح بالخلفة حسب الموروثات الريفيـة، أو غيرها. ومسـاحة العمق حين تتمعن فـي النظر إلى الداخل الشـخصية لدرجـة أن تكتشـف مـا يرعبـك. ومسـاحات لانهائية من الخيال والواقع وكلاهما لا ينفصل عن الآخر".

أيضـا ممـن ظهـروا قبـل ينايـر 2011 ومثلوا رافـدًا مهمًا فـي كتابة الرعـب، الكاتب حسـن الجنـدي الذي أجمع كل كتـاب الرعب على أنه أول الشباب الذين وضعوا حيثية لكتابة الرعب في مصر، في وقت كان يتعجـب النـاس حين يطلب أحدهم وضع كلمـة أدب رعب على غـلاف الروايـة، لكن حسـن إلى جانب ذلـك فهو صاحـب نظرية في كتابـة أدب الرعب، فيقـول الجندى في إحدى تدويناتـه على صفحته الشـخصية فيس بوك عن أدب الرعب: "اسـتيراد أدب الرعب بالذات لا يصلح، يمكنك أن تسـتورد أدب الخيـال العلمي أو المغامرة، لكن في أدب الرعب ستفشل مع مرور الوقت، لأن الوعي الجمعي العربي يرفض تلك الأنواع، تخيل معي مصاص دماء يعيش في إمبابة واسـمه "تامر الشحات"، أو لنتخيل معًا سائق الميكروباص "حمامة أبو شيتة" يتحـول لمذؤوب فجـرًا، تخيل أن يحاول هذا المذؤوب عبور شـارع جامعة الدول العربية! أو لنتخيل معًا السـاحرة "أم أسـماء الشـرنوبي" تمـارس سـحر الفودو فـي أول فيصـل، لتحيي بـه جثة "عبـد العاطي المكوجي" فيسير هائمًا ليخيف المصريين. عقليًا يرفض الوعي العربي تلك الأشـياء، ولو تقبلها لسـنوات فسـيثور عليها لأنهـا طبيعة. العقل العربي يميل لتراثه الثقافي مثلما العقل الغربي يميل لتراثه الثقافي، لذا

على الكاتب أن يحترم العقلية العربية ويقدم الرعب المناسب للبيئة".

الكاتبة منال عبدالحميد من مواليد محافظة سوهاج في العام 1981 والمقيمة في نفس المحافظة تقول: "أكره تصنيف الكاتب وحصره في زاوية معينة.. ولا أحب أن يصنفني أحد بكاتبة رعب أو خلافه.. لذلك أكتب كل الأنواع والأجناس الأدبية وأحب أن يدعوني الناس (كاتبة) فحسب".

منال حاصلة على ليسانس آداب قسم التاريخ وتعمل مدرسة بالتربية والتعليم.. بداياتها الأدبية كانت كلها من نوعية الأدب الاجتماعي أو التاريخي، وظلت لسنوات تكتب روايتها الأولى والتي تجاوزت عدد صفحاتها الألف وحملت اسم "رومن"، وعن طريق منتديات تخصصت في أدب الرعب وجدت الكاتبة طريقها إلى هذا النوع من الكتابة، وترجمت منال سبب اللجوء إلى كتابة الرعب قائلة: "أغلب من يكتبون أدب الرعب بحسب معرفتي بهم شديدو الخجل والمرح وبعيدون تماما عن أية ظروف مرعبة أو مثيرة للهلع، لذلك أراه نوعا من التعبير عما نفتقده في حياتنا مثله مثل قيادة السيارة بأقصى سرعة للاستمتاع بالخطر ليس إلا".

في جنوب مصر يوجد أيضا الكاتب الشاب ياسين أحمد سعيد، الذي يتكبد عناء السفر 14 ساعة تقريبًا كي يحضر إلى القاهرة ليوقع كتابه ثم يعود مباشرة بعد الانتهاء، فقط يستمتع بتوقيع كتبه، وحين تسأل ياسين كيف وجدت السبيل إلى أدب الرعب يقول: "من شبه

المستحيل أن تسأل كاتبا عربيا؛ (على يد من تشربت عشق أدب الرعب)، ويجيبك باسم خلاف الدكتور أحمد خالد توفيق".

ياسين يرفض القول أن كتابة الرعب نوع من الهروب، مؤكدًا أن المسألة بالنسبة له العكس تمامًا، فيقول:"أعتبر أدب الرعب والفانتازيا نوعا خاصا من أنواع المواجهة".

ياسين كان عندما يواجه مشكلة في حياته يصيغها في صورة مجردة فانتازية، ثم يترك رمزية المشكلة هي التي تحركه نحو الحلول عبر موج أحداث القصة. ويقول مؤكدًا على ذلك: "طوال حياتى أستعمل هذه الطريقة، وكم ساعدتنى في أن أتخطى أزمات عديدة، أو على أقل الفروض، ساعدتني في أن أكتشف آراء ومواقف كنت أخبئها عن نفسي، خوفًا من مواجهتها بها".

ياسين كان يملك سببًا آخر لكتابة الرعب، هو انتماؤه لقرية في أقصى جنوب الجنوب (أسوان)، حيث يتجسد انعدام تكافؤ الفرص، فيقول عن ذلك: "أردت أن أختار حلبة تمنح فرصا عادلة ومتساوية للجميع، فلم أجد أفضل من ميدان الخيال".

حسين السيد حسين، مواليد محافظة القاهرة في العام 1981، درس في كلية الطب جامعة عين شمس وصدرت له عن دار نون روايات، "الجثة الخامسة"، و"الشيخ الأسود"، و"عهود الدم"، و"نجع الموتى"، و"الحاكم بأمر الله"، و"قربان بشري" و"حكايات شتوية"، التي تواجدت في قوائم "البيست سيلر" فور صدورها. يترجم حسين

القفـزة التي حدثـت فـي مبيعات أدب الرعب وكتابتـه قائلا: "في كلام قديـم أن الإحسـاس المبهم بالخوف من المسـتقبل اللى اترسـب في العقـول بعـد الثورة سـبب مـن الأسـباب النـاس خايفة والـكلام عن الأشياء الغامضة المخيفة بيناسب هواها".

حسـين يملك ترجمة أخـرى عن سـر كتابته للرعب، فيقـول: "أنا بعشـق الرعب.. شايفه مكان أقدر أتحرر فيه من أي قيود سواء منطقية أو غير".

جميـع مـا سـبق يدور فـي فلـك مواجهـة الخوف علـى صفحات الـورق، كيف تتمكن من تحريك مشـاعر الهلع داخل نفسـية القارئ، وربمـا ترجم حجـم المبيعات الكبير أن القارئ أيضـا يهرب إلى واقع أكثر غرابة من الواقع الذي عاشـه بعد ثورة يناير 2011، لكن ما حدث مع الكاتب الشـاب محمـد عصمت ابن محافظة دميـاط قلب موازين الظاهـرة، حيث صدر للكاتب منذ بضع سـنوات رواية رعب كوميدي بعنوان "التعويذة الخاطئة"، استخدم فيها شخصيات الزومبي والفمباير والرجل الذئب والجني في حبك رواية كوميدية، وفي ثلاثة أشهر فقط نفـد من الرواية 9 آلاف نسـخة، محققـة رقمًا لم يتوقعـه أحد، لكاتب كان ينظر إليه في ذلك الوقت أنه دخل عالم الكتابة حديثًا، وككل هذا الجيـل يقول عصمـت: "أحمد خالد توفيق، ونبيل فـاروق أعتقد إنهم أكتر اتنين قرأت لهم وبحبهم في حياتي".

ولـو دققنـا النظـر أكثـر فـي تاريـخ ظهـور محمد عصمـت 2012 سنكتشف أننا أمام جيل جديد طبقا لنظرية المجايلة، الذي تسلم الراية

من جيل 2000، كل ذلك ولم ينتبه لهم أحد بعد، وربما تعثر النقاد في نطق أسمائهم.

وفي ظل حالة الفصام حيث نتحدث عن دولتين للكتابة لا يعرف بعضهم بعضًا، يظهر أيضا إلى جانب أن هناك جيلا ثانيا ظهر في غفلة من النقاد حقيقة أكثر دهشة، أن هناك من يكتبون الرعب وقد تتلمذوا على يد هذا الجيل الأول، مثل حسن الجندي مثلا.

محمود خواجة، عندما أجريت معه مقابلة عام 2014 في رحلة تقصي ذلك العالم كان لا يزال طالبًا في الصف الثاني الإعدادي، وكانت قد صدرت له رواية منشورة إلكترونيا، أما الآن فقد صدرت له روايتا "اختلال"، و"6".

يقول خواجة عن بوادر دخوله عالم الكتابة: "قبل أن أكتب قرأت رواية اسمها "نصف ميت" للعظيم "حسن الجندي"، مرورًا بـ"الجزار، ومخطوطة ابن إسحاق وكذلك أبي الروحي "أحمد خالد توفيق" الذي كنت أريد قبل وفاته أن أحادثه ولو لمرة واحدة في عمري، أريد أن أشكره على سلسلة "ما وراء الطبيعة" التي كانت هي شجرة عشقي لأدب الرعب".

3

محمد البعلي مدير صفصافة للثقافة والنشر تحدث عن أدب الرعب ومدى قابلية موافقته على نشر هذه النوعية من الكتابة قائلا: "لا يمكن الحكم على تيار بأكمله في الكتابة بأنه أدب أو لا؛ حيث

يجب تقييم كل عمل على حدة وتقدير مستواه الفني واللغوي ومدى أصالة الخيال".

البعلي يرى أن انتشار الروايات الخفيفة، مثل روايات الرعب والجريمة، وظهور كتب تتحدث عن العفاريت والأشباح في قمة قوائم المبيعات يشير إلى وجهة أخرى؛ وهي أن نسبة لا بأس بها من القراء تعتبر الكتب محاولة للهروب من الواقع إلى عالم خيالي منبت الصلة بمشاكل العالم وقضاياه الملحة، وبالتالي فإن هذه الكتب تعد تعبيرًا عن رغبة عدد كبير من القراء في "عدم اتخاذ" موقف من العالم والتعامل مع القراءة على أنها مشروع قصير الأجل للتسلية والانفصال عن الواقع.

وأكد البعلي في نهاية حديثه أن صفصافة لا تنشر هذا النوع من الأعمال لاعتقادها أنه يساعد على تغييب القرّاء. موضحًا أن هدف دور النشر التقدمية هو المساهمة في تنوير العقول وليس تغييبها.

* * *

مؤلفو روايات الخيال العلمي
خارج فانتازيا النقد

1

يشترك أدب الخيال العلمي والفانتازيا مع أدب الرعب في نفس القدر من اهتمام الكتاب والقراء في الدولة التي لا يعرفها النقد. والأغرب أن كتاب هذا الأدب، نجحوا في جذب شريحة من القراء لم تكن ذات صلة بسوق القراءة من قبل كما لم تكن على معرفة بماضي هذه الكتابة في مصر من خلال نماذج الراحل نهاد شريف، لكن ما أدب الخيال العلمي؟ هذا السؤال أحد الأسئلة التي انطلقنا منها:

في كتابه "الخيال – من الكهف إلى الواقع الافتراضي" العدد 360 من سلسلة "عالم المعرفة" الصادرة عن "المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت "للدكتور شاكر عبد الحميد، أستاذ علم نفس الإبداع ووزير الثقافة الأسبق، تحدث في الفصل السادس عن الخيال العلمي قائلًا: "الخيال العلمي نوع واسع شامل من الإبداع يشتمل غالبًا على التأمل الذي يقوم على أساس العلم والتكنولوجيا الحالية أو المستقبلية. ونجد أمثلة للخيال العلمي في كتب الأدب وأعمال الفن التشكيلي والتليفزيون والسينما وألعاب الفيديو الحديثة والمسرح وغير ذلك من أشكال الميديا، ويشتمل الخيال العلمي على

تلك الأعمال التي تدمج بين العناصر الخيالية الموجودة في الواقع المعاصر والتي تتضمن أيضًا: الفانتازيا والرعب وما يرتبط بهما.

يختلف الخيال العلمي عن الفانتازيا داخل سياق القصة نفسها الموجودة في كل منهما، فالعناصر المتخيلة في الخيال العلمي تكون ممكنة فقط في سياق قوانين الطبيعة المفترضة علميًا أو التي تقوم على أساس العلم، وبينما لا تلتزم الفانتازيا بهذه القوانين لأنها متحررة إلى حد كبيرمن قوانين الزمان والمكان والسببية والمنطق العلمي".

وفي حوار سابق للراحل أحمد خالد توفيق لجريدة القاهرة تحدث عن رفضه لما أسماه هوجة كتاب أدب الرعب وأعرب عن اندهاشه لماذا لا يوجد كتابة خيال علمي بالمعنى الحقيقي، وهي أفضل من وجهة نظره لسبر أغوار النفس الإنسانية، وأضاف توفيق في نفس السياق أن ما يوجد من كتب خيال علمي يندرج تحت بند واحد فقط من بنود كثيرة قد يكتب الخيال العلمي في إطارها والمسمى "الأوبرا الفضائية Space Opera" والتي عرّفها الدكتور شاكر عبد الحميد في فصل الخيال العلمي من نفس المصدر السابق قائلا: "وغالبًا ما تكون الأعمال هنا تشتمل على مغامرات رومانتيكية أو ميلودرامية تمزج بين البهجة والأسى والمفارقة تدور في الفضاء الخارجي وتشتمل على صراع بين خصمين أو عدوين يمتلكان قدرات وتكنولوجيا عالية. هنا تكون مواقع الأحداث والشخصيات والمعارك والقوى والموضوعات الرئيسية المتكررة ذات أطر واسعة".

2

الكاتب محمد عبدالرازق، روائي، يعمل بمجال تدريس الكيمياء، صدرت له عدة روايات في أدب الرعب والخيال العلمي، منها، رواية "أغلال"، و"الشيطان" و"تربة الزعفران" و"كلاكيت" و"انتقام قلب" و"الشبح".

يقول عبد الرازق إن أدب الخيال العلمي يختلف عن غيره من ألوان الأدب المختلفة، مفسرًا ذلك أن المؤلف يخلق عالمًا خياليًا أو كونًا ذا طبيعة جديدة، بالاستعانة بتقنيات أدبية متضمنة فرضيات أو استخدام لنظريات علمية فيزيائية أو بيولوجية أو تكنولوجية أو حتى فلسفية. من الممكن أن يتخيل المؤلف نتائج هذه الظواهر أو النظريات محاولًا اكتشاف ما ستؤول إليه الحياة، ومتطرقًا إلى مواضيع فلسفية أحيانا، وقد تتناول موضوع القيم في عالم جديد مختلف.

ويؤكد أن ما يميز أدب الخيال العلمي أنه يبقى متسقًا مع النظريات العلمية والقوانين الطبيعية دون الاستعانة بقوى سحرية أو فوق طبيعية مما يجعله متمايزًا عن الفانتازيا.

ويضيف أنه في مصر والوطن العربى هناك رائد الخيال العلمي الأستاذ نهاد شريف، حيث كانت أولى رواياته هي رواية "قاهر الزمن" التي تحولت إلى فيلم سينمائي.

الروائي شريف ثابت صاحب روايات "أنين"، و"الميلاد"، و"نور العباسي"، و"القيامة"، و"البعث"، و"عالم أفضل"، الصادرة جميعها

عـن دار "كيـان"، قال إن اهتمامه بالخيال العلمي بدأ مع سلسـلة ملف المسـتقبل للدكتـور نبيل فاروق، وبعض كتابـات الدكتور أحمد خالد توفيـق فـي سلسـلة سـافاري. مؤكـدًا أن الدكتور خالـد توفيق لـه أيادٍ بيضاء باضطلاعه بالترجمة لأسـاطين الخيال العلمي الجاد كأزيموف وهاينلاين وبرادبوري في سلسلة روايات عالمية للجيب.

وأضـاف أن الخيال العلمي يفتح المجـال أمام الكاتب لطرح رؤاه الإنسـانية والاجتماعيـة والسياسـية، بمـا يتيحه من شـطحات فانتازية تملـك بطبيعتهـا أسـباب الجاذبيـة، والتحرر مـن القوالـب التقليدية، وتقديم تصور لنتيجة تشـابك العلاقـات المختلفة وتطور التكنولوجيا على أوجها لحياة الإنسانية.

ووضح أن رواية «أنين» حاولت تناول الهموم السياسية والمؤسسة لثقافة ما قبل يناير 2011 في إطار من الخيال العلمي.

وأشـار إلى أن كاتب الخيال العلمي ينظر دومًا للمستقبل، المسألة التـي تسـتلزم منه ثقافة موسـوعية، غير مقتصرة على العلوم فحسـب. مؤكـدًا أن الكاتـب يجـب أن يكـون مطلعًا علـى الجديد فـي الفيزياء والكيميـاء والأحيـاء بطبيعة الحـال، وأن يكون قارئا متمرسـا للتاريخ والفلسـفة وعلم النفس والاجتماع، والأهـم: يملك القدرة على هضم قراءاته وخبراته ومد خيوطها لصياغة رؤية متكاملة لمستقبل البشرية.

الكاتـب أحمـد محمـد فريد، مـن مدينـة المنصـورة، تحدث عن بدايـات دخولـه عالم كتابة أدب الخيـال العلمي، مؤكـدًا أن العلم هو

بوابة دخوله للأدب. ومفسرًا أن البداية كانت في عام 2007، حيث كان يكتب سلسلة من المقالات العلمية لمنتدى روايات، عن نظرية الكم ونظرية النسبية وغيرها.

وأضاف أنه حين أراد كتابة دراسة مُختصرة عن نظرية الانفجار العظيم، قرر كتابتها بصيغة مختلفة عن أي دراسة سابقة. لذلك قرر كتابة الدراسة في صورة قصة من الخيال العلمي. لافتًا إلى أنه بالفعل نشرت القصة في منتدى روايات والتي سماها "الانفجار العظيم" والتي تحكي كيفية بداية الكون، وقد لاقت بعض الاستحسان رغم تعقيد فكرتها وصياغتها. مشيرًا إلى أنه منذ ذلك الوقت راقته فكرة أن يستمر في تقديم ذلك الصنف من الأدب.

أحمد محمد فريد نشر بعد ذلك رواية مسلسلة في عام 2008 بعنوان "النيزك". ويقول إنه في صغره تربى على قصص نبيل فاروق وخاصة سلسلته "ملف المستقبل" وسلسلة كوكتيل 2000، ثُم قصص أحمد خالد توفيق، مؤكدا أنه بعد ذلك صقل قراءاته بالعديد من رواد الأدب مثل نجيب محفوظ، وبهاء طاهر، وعز الدين شكري، ومحمد المخزنجي، لافتًا إلى أنه على مستوى الأدب الغربي تأثر بكتابات سيفن كينج وفيليب ك. ديك، وويليام جيبسون، وتيد شيانج، وإزاك أزيموف وكذلك تشاك بولانيك.

ويستكمل فريد حديثه عن أدب الخيال العلمي قائلا إن حبه لهذا النوع من الأدب وثيق الصلة بشخصيته، حيث إنه مُحب للعلم، بالإضافة لعشقه للخيال.

فريد يعمل على إدخال نوع يُعد غريبًا على الأدب العربي هو الخيال العلمي الاجتماعي «Soft Scifi»، الذي يناقش في الأساس أثر التقنيات المختلفة على الإنسانية فردًا ومُجتمعًا. وكذلك تندرج بعض كتاباته تحت عنوان «Slipstream fiction» التي تمزج الخيال العلمي بالفانتازيا بالأدب الاجتماعي. وقد كتب في هذا المجال ثلاث مجموعات قصصية نالت بعض قصصها جوائز، مثل قصة "وثنية" التي نالت جائزة نبيل فاروق لأدب الخيال العلمي. وكذلك رواية "اللوح الأخير".

الكاتبة فاطمة علي ماضي كتبت أدب الرعب في رواية مشتركة مع الكاتب مصطفى جميل بعنوان "لعنات الموتى"، وكتبت أدب الخيال العلمي في رواية بعنوان "شيفرة من العالم الآخر" والصادرة عن دار «نون»، أي أنها سلكت الدربين الرئيسيين اللذين كان يدور فيهما فلك القراءة والكتابة في مصر عامي 2014 و2015.

بدأت ماضي حديثها بعبارة "الكتابة حياة"، مؤكدة أن الكتابة في العام متنفسها، مشيرة إلى أنها تخرج من قيودها لتسبح وعقلها في سماء لا محدودة الأقطار، لافتة إلى أنها تفكر في أي فكرة حرمت عليها، متحركة في مسافات غير مسموح لها بأن تزورها.

وتقول إن بدايتها الحقيقية في القراءة كانت مع الدكتور مصطفى محمود، موضحة أنها كانت تتابع حلقات برنامجه عندما كانت تذاع حلقاته على القناة الأولى المصرية يوم الاثنين من كل أسبوع، منتقلة

بالتدريج لقراءة كتبه، مستخلصة من عمل مصطفى محمود أن الأشياء ليست كما تبدو لنا، وأن عيوننا ليست مرآة حقيقية للواقع الذي نظن أننا نعيشه.

وتؤكد أنها في مرحلة التعليم الإعدادي في الثانية عشرة من عمرها كتبت قصة تحكي عن رجل يركب مركبة فضائية ويرحل عن دنيانا، منوهة إلى أنه ربما كان حلما أرادت تحقيقه فظهر على الأوراق.

وتضيف أنها أثناء دراستها في كلية الزراعة، كتبت حلقات ساخرة وضعت في مجلة قسم الكيمياء الحيوية بعنوان "يوميات متفائل"، ودارت أحداثها عن شاب متفائل رغم كل الكوارث والمواقف الصعبة التي يمر بها في إطار كوميدي يسخر من آلام الواقع. وتحدثت عن أنها قرأت لتوفيق الحكيم وطه حسين ونجيب محفوظ، محطمة بذلك دعوى أن كل هذا الجيل من الكتاب يجب أن يقرأ أولا أحمد خالد توفيق ونبيل فاروق، فهي لم تقرأ أو تتلمذ على أيديهما. طارحة ضرورة إعادة النظر لهذه المسألة. مشيرة إلى أنها قرأت أيضا لأنطون تشيخوف وأجاثا كريستي وموباسان وغيرهم من الأدب العالمي.

ورواية "شفرة من العالم الآخر" للكاتبة التي صدرت في العام 2013 تحكي عن رجل ينتقل بين عالمين، ويرى أبعادا أخرى لا يراها في عالمنا، ويعاني ويتعلم الكثير أثناء ضياعه في رحلته. لكن الكاتبة قررت ترك هذا الدرب من كتابة الرعب والخيال العلمي لتطرح في معرض الكتاب القادم رواية تناقش الآثار النفسية السلبية على المرأة

نتيجة كبت مشاعرها وأنوثتها وطبيعتها منذ الصغر. وربما كان تحول فاطمة ماضي عن ركب هذه الكتابة المسيطرة على الساحة إلى جانب كتاب آخرين أعربوا عن رغبتهم هم أيضا في كتابة رواية بعيدة عن الرعب والخيال العلمي يطرحون سؤالا أيضا عن استمرارية هذه الموجة من كتابة الرعب والخيال العلمي والفانتازيا من عدمه.

الكاتبة ندى طلال إبراهيم كتبت روايتها الأولى في عمر الحادية عشرة لكنها لازالت حبيسة الأدراج لدى أحد الناشرين الذي وقع عقدها ولم ينشرها حتى الآن، لكنها نشرت في أوائل عام 2014 رواية "ماريمو"، وكانت في الثامنة عشرة من عمرها وقت نشر الرواية. وتقدم بها الناشر للمنافسة على الجائزة العالمية للرواية العربية «بوكر»، لكنها تكتب أدب الفانتازيا وهو نوع أدبي يعتمد على السحر وغيره من الأشياء الخارقة للطبيعة كعنصر أساسي للحبكة الروائية، والفكرة الرئيسية، وأحيانًا للإطار.

تحكي ندى عن نفسها أنها بدأت القراءة قبل أن تعرف كيف تكتب، مشيرة إلى أن والدتها اعتادت أن تشتري لها القصص من سن 3 سنوات، ثم عندما وصلت للسادسة أصبحت عادة أن تشتري المجلات بمصروفها الشخصي، مؤكدة أنها قرأت أول رواية وهي بالتاسعة وكانت رواية "غراميات راسبوتين"، مشيرة إلى أنها منذ تلك اللحظة وقعت في حب المترجمات، مضيفة أنها قرأت "هاري بوتر" وهي في الصف الرابع الابتدائي.

تستكمل ندى قائلة إنها اعتادت أن تقرأ الرواية ثم تختلق من بين الثنايا رواية أخرى لا تمت لها بصلة، معتقدة أن هذه اللحظة هي التي ارتبطت على أثرها جديا مع أدب الفانتازيا. لافتة إلى أنها ترى أنها تنقصها الحرفية في الكتابة، لكنها تؤكد أنها رغم ذلك قادرة على اكتساب ذلك مع الوقت.

ندى لم تقرأ للدكتور أحمد خالد توفيق ولا تعرف عالمه ولم تخرج من عباءته، فهي إلى جانب الكاتبة فاطمة علي ماضي شكّلتا استثناءً على هذه الدولة التي تدين في أغلبها بالفضل إلى الدكتور أحمد خالد توفيق.

3

الدكتور شاكر عبدالحميد أستاذ علم نفس الإبداع وعميد المعهد العالي للنقد الفني سابقا ووزير الثقافة الأسبق ينفي ما تحدث عنه الشباب من عدم اهتمام النقاد بعوالمهم في الكتابة، مؤكدًا أن الشباب هم المقصرون في عدم مد جسور تواصل مع النقاد، ووضح أنه صدرت له كتب تناولت هذه النوعية من الكتابات على مستوى الكتابة والسينما أيضا في كتابه "الغرابة - المفهوم وتجلياته في الأدب" الصادر عن سلسلة عالم المعرفة العدد 384، يناير 2012. وكتابه "الخيال - من الكهف إلى الواقع الافتراضي" العدد 360 من سلسلة عالم المعرفة والصادرين عن "المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت".

أستاذ علم نفس الإبداع قال إننا لو فسرنا حالة الإقبال الشديد على أدب الرعب والخيال العلمي والفانتازيا على مستوى القراءة والكتابة بالمعنى السيكولوجي فمن الممكن أن نقول إن هذا النوع من الأدب يعد من أساليب المواجهة للخوف ابتكرها الإنسان من خلال الخوف المتخيل الذي يواجه به الخوف الحقيقي. موضحًا أن هذه آلية تسمى الإشباع البديل، فأنت تواجه هنا خوفًا يتعلق بأحداث وكوارث ودمار يحدث للآخرين وليس للقارئ أو الكاتب، مؤكدًا أن الكاتب هنا آمن ومستمتع بالتخيل بأحداث تقع على مسافة منه.

ويضيف على مستوى ثان، أن هذا نوع من الأدب الخيالي المرتبط بعوالم يضعها داخلنا حب الاستطلاع أو الفضول المعرفي أو التشويق، أو نوع من الأدب يوحي أن ما سرده أمر واقعي لكي يتقدم تدريجيا كي يسهل هذا الإيهام أو يتجاوزه.

ويستكمل تفسيره السيكولوجي على مستوى ثالث بعرض نظرية "روزماري جاكسون" التي تقول إن هذا النوع من الأدب يساعد على الدخول إلى تلك العوالم الغريبة الموجودة خلف مرآة الواقع، موضحًا أنه تجسيد لفضاءات موجودة خلف المرئي، خلف الصورة ومن ثم يضعنا في مناطق مظلمة فيها التباس من خلالها ممكن أن يظهر أي شيء غيرمتوقع.

ويوضح أن هذه الأنواع من الكتابة متداخلة، لافتا إلى أن زيادة الإقبال على هذا النوع من الكتابة بعد الثورة ربما عاد إلى أن الشباب

يبحثون لديهم عن شكل جديد في التعبير عن ذواتهم التي تعاني حالة عدم الاستقرار التي يواجهها الواقع في المراحل الانتقالية، والتي يمر فيها الإنسان بحالة من الالتباس، مشيرًا إلى أنها محاولة للبحث عن يقين حالي يساعد على مواجهة اللايقين الموجود الآن، ويساعد على التعبير عن الذات وتحقيقها والتعبير عن إحساسات مركبة، نوع من المحاولة لمواجهة الواقع المضطرب.

* * *

دولة كتاب الظل

1

في سنوات الطفولة شاهدت مسلسلا تلفزيونيا للفنان أحمد بدير كان يؤدي من خلاله شخصية كاتب مغمور سطر كتابا وأراد أن يذهب به إلى المطبعة، لكنه لم يجد الاهتمام المطلوب، حتى إذا اتهم زورا بقتل أحدهم، وأصبحت الصحف تتهافت على أخباره، فوجئ بعروض النشر تتكالب عليه، وعروض أخرى لتحويل قصة حياته إلى فيلم سينمائي. نفس الآلية هي المسيطرة الآن.. حيث تتهافت بعض دور النشر على نوعية معينة من الأدب وأصبح الكاتب يقف متلهفا لأي الكتب التي ينتظرها القارئ حتى ينقش آخر على شاكلتها، على عكس المفترض أن يكتب الذي يراه الأصلح أو الذي يضرب عقله ويسيطر على تفكيره.

لكن وسط هذا الزحام احتفظ مجموعة من الكتاب الشباب بحبهم للكتابة الحقيقية، لكنهم لا ينتمون إلى دولة القارئ بمقاييسها الركيكة، ولا هم يكتبون الرعب أو الخيال العلمي، وفي نفس الآن يحسبون على هذه الدولة، فيحصلون على تجاهل النقاد في دولتهم، ليؤسسوا

إمبراطورية خاصة بهم، في انتظار بارقة أمل، أن ينتبه لهم الناقد، رغم أن أغلبهم قد حصل على جوائز عربية ومصرية مهمة، مثل الكاتب أحمد القرملاوي، وجائزة الشيخ زايد للأدب فرع الكاتب الشاب دورة عام 2018، والكاتب أحمد عبد المجيد الذي ترشح لنفس الجائزة عام 2013، ووصل إلى قائمتها الطويلة، والكاتب خالد أحمد الحاصل على جائزة ساويرس للكاتب الشاب فرع الرواية، وقد ترشح هو أيضا لجائزة الشيخ زايد للكتاب فرع الكاتب الشاب في قائمتها القصيرة، وغيرهم كثير، وآثرت أن أسميها، إمبراطورية الظل.

2

أحمد عبد المجيد، روائي وقاص مصري، من مواليد 1980 بمحافظة سوهاج، درس علوم الحاسب في كلية الحاسبات والمعلومات جامعة القاهرة، وتخرج فيها سنة 2002. صدرت روايته الأولى "ترنيمة سلام" في 2013، عن دار "ن" للنشر والتوزيع، التي وصلت للقائمة الطويلة في جائزة الشيخ زايد للكتاب في دورتها الثامنة فرع المؤلف الشاب، وصدرت له أيضا روايتا "عشق"، و"التابع".

يحكي عبد المجيد أنه في إحدى حفلات التوقيع عام 2014 استوقفه صحفي ليسأله: ما رأيك في قرارات وزير الثقافة الأخيرة؟ ففاجأه حين قال: "أنا لا أعرف من هو وزير الثقافة الحالي حتى أعرف ما هي قراراته الأخيرة!"، فسأله الصحفي في دهشة قائلا: "لكنها الوزارة التي تتبعها!".

فرد الكاتب قائلا: "لست على اتصال بوزارة الثقافة ولم أستفد منها شيئًا وهم لا يعرفونني".

يستكمل عبد المجيد حكايته أن روايته الأولى "ترنيمة سلام" ترشحت في القائمة الطويلة لجائزة الشيخ زايد فرع المؤلف الشاب، التي تعتبر أكبر جائزة أدبية في الوطن العربي، مضيفًا أنه كان الوحيد ضمن ثلاثة مصريين، لكنه رغم ذلك يعبر عن ثقته أن أحدًا في وزارة الثقافة أو حتى اتحاد الكتاب لم ينتبه للأمر.

ويشير في هذه المسألة إلى دور النقد في أن يلقي الضوء على الأعمال الجديدة المهمة ويتبنى الكتاب الشباب الموهوبين ويقدمهم للعالم ويوجه إبداعهم ويلفت نظرهم، هم والقراء، إلى مواطن الضعف والقوة لديهم. مستغربًا كيف أن النقد لم يعد يقوم بهذا الدور الآن.

ويقول إن روايته "ترنيمة سلام" التي وصلت للقائمة الطويلة في جائزة الشيخ زايد وقرأها آلاف القراء وأرسلوا له آراءهم، لم ينتبه لها ناقد واحد ليكتب عنها.

ويوضح أنه ينتمي لجيل يتيم صنع نفسه بنفسه، لم يهتم به أحد ولم يلتفت إليه أحد، خرج من عباءة كتابه المفضلين فلم يجد من يوجهه أو يرشده أو يأخذ بيده. لافتا إلى أنه حتى وإن انتبه النقاد إليهم فسيكون ذلك على سبيل الهجوم لأنهم لم يخرجوا من عباءتهم ولم يتعمّدوا على أيديهم. مختتما كلماته أنهم بالنسبة للنقاد نبت شيطاني ظهر فجأة في غفلة من الزمن!

شيرين سامي خريجة كلية الصيدلة جامعة القاهرة، كاتبة وصاحبة مدونـة "حدوتة مصريـة" ومدونـة "ذات مرّة"، صدرت لهـا مجموعة قصصية باسـم "كتاب بنكهة مصر" عـام 2012 لدار ليلى كيان كورب، وصـدرت روايتها الأولى باسـم «قيد الفراشـة» عن دار نـون في العام 2014، وصـدرت لها عـن الدار المصرية اللبنانيـة رواية "حنّة"، "ومن ذاق عرف".

تحكـي شـيرين أنها أثنـاء تجوالهـا على المكتبـات تعثـرت كثيرًا بروايات الجيب مع صديقاتها لكنها لسبب تجهله لم تفتح هذه الكتب شـهيتها للقـراءة، مسـتكملة أنها بعـد أن قرأت ثلاثيـة نجيب محفوظ جذبتهـا لتقـرأ معظم رواياته ثم قرأت إحسـان عبد القدوس فيوسـف السباعي وغيرهم من نفس الجيل.

وتشير إلى أنها تأثّرت أكثر بنجيب محفوظ وتعلمت منه كيف تقرأ، وتعلمت السـرد والتفاصيل وخلق شخوص وطقوس وعوالم خيالية، لافتـة إلى أنهـا مرت بصدفة رائقة حين درسـت روايـة "زقاق المدق" باللغة الإنجليزية في مرحلة التعليم الثانوي لتعرف قيمة الكاتب الكبير في الغرب ولتزداد شغفًا به ليصبح عرّابها.

وتسـتكمل أنه لأن لكل منّا رواية يريد أن يحكيها، وأفكارا يريد أن يثيرها وينشـرها فقد بدأت في كتابة روايتها الأولى، وتم نشرها مع دار «ن» فـي ينايـر 2014، معبرة عن نجاح محدود بالنسـبة للجانب الآخر مـن الكتابات عن الرُعـب والخيال العلمي، لكنها تؤكـد مع ذلك أنها

مازالت تشعر بتفرّد روايتها التي تحكي عن تجربة حياتية مُلهمة لامرأة عصرية مُحاطة بالقيود، ووقع الرواية على من قرأها طيب.

وتسأل، أين رأي النُقاد؟ مكتشفة أنهم كجيل يحمل عبء نفسه كاملًا، يدعم بعضه، يُقدّم بعضه، يُناقش بعضه، يستخدم اللايك والشير والكومنت ليساعد بعضه في الانتشار، وينقد نفسه.

وأدركت أن للأدب في مصر شاطئين: شاطئ للمثقفين المُترفعين المنغلقين على أنفسهم، وشاطئ لكتّاب الرعب والخيال العلمي والأكثر مبيعًا، مستشعرة أنها عالقة بين شاطئين.

محمد صلاح زكريا الذي فازت روايته "سيد مُسافر" في المسابقة المركزية للهيئة العامة لقصور الثقافة بالمركز الثالث على مستوى الجمهورية، والصادرة عن "الدار المصرية اللبنانية"، وفاز بالمركز الخامس عن مجموعته القصصية "بسمة على شفاه الموت"، في مسابقة المواهب الأدبية لعام 2013 دورة الروائي محمد البساطي. قال إن الأدب الهادف والجاد المنسجم مع العصر يفرض نفسه على الواقع مع إقبال القراء وتركه أثرا طيبا مع متعة فنية يتركها العمل الأدبى في نفس القارئ. معربًا عن دهشته أن كثيرا من تلك الأعمال لا يلتفت إليه النقاد إما تقصيرًا منهم أو وجود نظرة استعلائية لديهم في رفض كل ما هو جديد أو لقي رواجا وصدى طيبا بين القراء.

ويؤكد أن الإشكالية تكمن في أن الكاتب لا يجد ناقدا متخصصا يكتب عنه ويقيم عمله ويوجهه نحو التطوير للأفضل في أعماله المقبلة

ليبقى الكاتب حائرًا لا يعرف هل كتاباته متدفقة ومنسابة في مسارها الصحيح وهل يحتاج لتطوير نفسه فلا يجد سوى أن يهتم ويركز في أرقام التوزيع وزيادة الطبعات من أجل الترويج لنفسه وعمل دعاية بعيدًا عن دولة النقاد القابعة في برجها العاجي التي تكتفي بالتجاهل أو الاستنكار وتتعالى أن تنزل إلى الساحة تفرز الجيد من الرديء وتشيد بالمتميز وتصحح للآخرين.

أحمد القرملاوي، كاتب ومهندس معماري مصري، من مواليد القاهرة عام 1978، تخرج في كلية هندسة التشييد في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وحصل على درجة الماجستير من جامعة إدنبرا، اسكتلندا، يكتب الرواية والقصة والشعر، وصدرت له المجموعة القصصية "أول عباس" في يناير 2013. وصدرت له عن الدار المصرية اللبنانية روايات "التدوينة الأخيرة"، و"دستينو" و"أمطار صيفية"، الحاصلة على جائزة الشيخ زايد للكتاب فرع المؤلف الشاب، و"نداء أخير للركاب".

يبدأ القرملاوي حديثه قائلا: طالما أسسنا لدولتين على هذا النحو، فإنه لا يرى نفسه إلا من سكان منطقة حدودية، لم يتحدد مصيرها بعد، موضحًا أنه من حيث الإبداع يشعر بانتماء أصيل لدولة كبار تغافلت طويلًا عن مواطنيها الشباب، في حين تحفل به دولة تتحفظ في التعاطي مع الأدب الجاد وتخشاه أحيانًا.

يحكي القرملاوي أنه في أولى خطوات تحديد هويته سعى إلى دولة الكبار، متمثلة في دار نشر من أكبر الدور وأعرقها بمجموعته القصصية "أول عباس"، فوجد استقبالًا فاترًا لم يمنحه فرصة قراءة

عمله وإبداء الرأي فيه، فعاد أدراجه إلى دولة الشباب، التي رحبت به طالما سيتكفل بتكلفة النشر من حسابه الخاص، مستكملا حديثه أن المجموعة مرت دون أن يلتفت إليها أحد لغياب الاهتمام من رعايا الدولتين. ومشيرا إلى أنه في هذه الأثناء، تقدَّم بأولى رواياته "التدوينة الأخيرة" إلى دولة الشباب التي آوته-في شخص ناشره الأول- فإذا بها تتحفظ في نشرها بزعم عدم ملاءمتها لذوق قراء دولة الشباب، ليفاجأ بعدم ترحيب في دولته الجديدة أيضًا.

ويروي القرملاوي بقية الرحلة قائلا إن الأديب والناقد الكبير علاء الديب وقعت مجموعته الأولى "أول عباس" بين يديْه عن طريق الصدفة، وإذا به يتناولها في مقال طويل في جريدة الأهرام اليومية، لافتا إلى أنه بعد ذلك المقال ذهب إلى دولة الكبار من جديد، واستقبلت الدار المصرية اللبنانية روايته بحفاوة كبيرة هذه المرة.

ويشير إلى أن الأمور لا تستقيم على هذا النحو؛ مفسرا ذلك أن ليس على الموهوب أن ينتظر مصادفة تدفع به إلى دائرة الضوء، وليس لدولة الكبار أن تستند لافتراضات مبنية على التعميم المُخل، وكذلك لا يجدر بدولة الشباب أن تنتهج نهجًا انتقائيًا فجًا لا يفسح المجال إلا لأنواع استهلاكية مُسلية من الكتابة، بافتراض أن ذائقة مواطنيها تنحصر في تلك الدائرة الضيقة دون غيرها، وهو افتراض مُخل أيضًا. الأجدر بالجميع أن يتلمس حدود الآخر، ولا يغلق الأبواب في التعامل معه.

* * *

ظاهرة إبداع المنتقبات في مصر

جلست الروائية المنتقبة ياسمين حسن توقع روايتها "ماريا" للحضور في الندوة التي نظمتها بمنطقة وسط البلد في القاهرة، وأثناء الحفل انتشرت صورة للروائية المنتقبة وهي تقرأ فقرات من روايتها للحضور على صفحات التواصل الاجتماعي وثار جدل بين مؤيد ومعارض لفكرة إبداع المنتقبات. مظهر الروائية المنتقبة قبل 2011 شوهد فقط مع تجربة الكاتبة فدوى حسن بروايتها الأولى "فدوى" عام 2008. اليوم تجاوز عدد الكاتبات المنتقبات 10 كاتبات أصدرن في الأعوام الثلاثة الأخيرة 26 عملا بين الرواية والقصة والشعر العامي، أغلبها أعمال تتحدث عن الصلاة أو فضل النقاب واللحية من خلال حكاية أو قصة أو قصيدة، "المنتقبة الحسناء"، و"الرجل ذو اللحية السوداء"، و"حبيبي داعشي"، و"قالت لي" و"شاهدت زوجي في الأتوبيس و"من وراء حجاب" و"مشاعر خارج النص" وأعمال أخرى متنوعة للكاتبات المنتقبات: دعاء عبد الرحمن، ومنى سلامة، وياسمين حسن، وحنان لاشين، وشاهندة الزيات، وشيماء عفيفي، وفاطمة الزهراء فتحي، وروان صادق، وريهام رجب الشاذلي، وأسماء أبو العطا.

ظاهـرة الكاتبـات المنتقبـات أو "الأدب ذو الطابـع الديني" -كما يصفـه القـراء على صفحـات القـراءة بمواقـع السوشـيال ميديا-التي انتشـرت في مصر بعد ثـورة يناير تنضم لظواهر أخرى سـيطرت على حركـة النشـر والقراءة في مصر بعد عـام 2010 إلى جانب ظاهرة أدب الرعـب وأدب الخيـال العلمـي وظواهر الكتـب الأعلى مبيعـا والتي لم تحـظ بعد بالتناول والتحليـل النقدي الكافي لفهـم أبعادها، والتي نحاول استيضاحها.

اكتشفت زوجي في الأتوبيس:

دعـاء عبـد الرحمن كاتبة مصريـة من مواليد الجيـزة، حاصلة على بكالوريـوس إدارة أعمـال ودبلومـة مـن المعهـد العالـي للدراسـات الإسـلامية، نشـرت أول أعمالها الروائية على موقـع الإنترنت وحقق تفاعـلا كبيـرا مما دفع مزوري الكتب في مصـر لطبع الرواية في كتاب ورقـي دون الرجـوع لمؤلفته، وتصـدرت صـورة كاريكاتورية لامرأة سـافرة غلاف الكتـاب، المسـألة التي اضطرت المؤلفة لنشـر نسـخة شـرعية من الرواية وتغيير صورة الغلاف، لكـن هذا الاضطرار أصبح واقعا ملموسـا بعد أن نشـرت خمس روايات أخرى خلال السـنوات الثـلاث الأخيـرة. لتتجـاوز روايتها "وقالـت لي" الصـادرة عام 2016 ست وعشرين طبعة حتى الآن.

دعاء عبد الرحمن تقول عن تجربتها مع الكتابة: "رغبتي في الكتابة متواجـدة منـذ الصغـر علـى شـكل يوميات وخواطـر بسـيطة لكن لم

أحاول عرض ما أكتبه إلا في 2011 على أحد المنتديات النسائية، ولم تواجهني في ذلك الوقت صعوبات تُذكر بسبب النقاب".

دعاء عبد الرحمن تشير إلى أنها كانت مُدمنة على أعمال عبد الوهاب مطاوع وصفحته الثابتة في جريدة الأهرام «بريد الجمعة» إلى جانب إصداراته المطبوعة، إذ كانت تملك شغفا كبيرا بالحكايات الواقعية، وأن الواقع أكثر مبالغة من الخيال وصرخة لمن يهمه الأمر، وككل أبناء جيلها تقول: "أيضا كنت أنتظر بشغف كتب الجيب للدكتور نبيل فاروق، ثم تنوعت قراءاتي بعد ذلك للروايات العربية أو المترجمة".

ورفضت دعاء عبد الرحمن تصدير رؤية موحدة لرجال الدين تجاه الأدب، مشيرة إلى أنه ليس كل رجال الدين يرون الأدب علما لا ينفع، تقول: "هناك رجال دين أعرفهم لهم أعمال أدبية كثيرة ومنهم من راجع معي آخر رواية صدرت لي حتى الآن وهؤلاء يرون أن كل شيء فيه الطيب والخبيث النافع وعكسه ككل أنواع الفنون وليس الرواية فقط".

من وراء حجاب:

منى سلامة، من مواليد 1985، تخرجت في كلية الطب البيطري جامعة المنصورة عام 2008، وبدأت الكتابة على الإنترنت عام 2013، وصدر لها أربع روايات إلكترونية قبل أن تنشر أولى رواياتها الورقية عام 2015. عن رحلتها مع الكتابة قالت منى سلامة: "لم تواجهني أي

معوقات بسـبب النقاب لا في البدايـة ولا الآن. في البداية كنت أكتب في القسـم الأدبي في منتدى نسـائي، ثم من خلال مجموعات القراءة على الفيسـبوك، ولا يهم القراء سـوى ما أكتب وليس شكلي. ثم ومع النشـر الورقي لم أجـد صعوبة كذلك، لأن الفيصل ظـل دائما ما أقدم مـن أعمـال وليس طبيعة ملبسـي. فأنـا لا أصنف كاتبا رجـلا وفقا لما يرتديـه، هـل يحب الكاجـوال أم الفورمال، فتلك أمـور تتعلق بحريته الشخصية وليس لي أن أتدخل فيها، كل ما يهمني هو نتاج فكره وقلمه فحسب".

وتستكمل منى سلامة حديثها: "رجال الدين الذين أثق في علمهم وفتواهـم لا يـرون الأدب علمـا لا ينفع على الإطـلاق، بل إن أحدهم يكتـب الروايـات، وآخـر يقـرأ الأعمـال العالميـة الخالدة ويرشـحها للقـراءة، وأرى أن الفكـرة مغلوطـة تمامـا لأنهـا مقتصرة علـى فئة لا أنتمـي إليها. القرآن اسـتخدم فيـه الله عز وجل أسـلوب القصص من بـاب ضرب الأمثال للناس لما للقصة من تأثير قوي، ولسـنا ببعيد عن قصص الأنبياء، وقصص سيرة النبي ﷺ، وقصص الصحابة والتابعين، وسـير أعلام النبلاء. أي أن الأسلوب القصصي في الحكي عرفناه في ديننا".

وتعليقـا علـى رؤيـة بعـض النقـاد أن النقـاب يقيد الإبـداع قالت: "لا أعرف إلى أي وقائع يستندون في اعتقادهم هذا، لكنني لا أشعر أبـدا أنني مقيدة، لا في حياتي الشـخصية، ولا في مشـروعي الروائي،

النقاب قطعة قماش ساترة للوجه لي فيها عقيدة، وليست حجابًا على العقل أو قيدًا له، السوشيال ميديا نفسها عبارة عن حجاب يتخفى وراءه الملايين من البشر ورغم ذلك لا يمنع التواصل وتبادل المنفعة فيما بينهم".

منى سلامة ترى كغيرها من الكتاب الشباب أن السوشيال ميديا ساهمت في انتشار كتاباتها من بعد يناير 2011، موضحة أن كتابة الروايات لم تعد حكرا على تيار ثقافي واحد في مصر، وأن مواقع التواصل هيأت بيئة خصبة لتلاقي القراء والكُتاب من مختلف الأيديولوجيات. وعن ذلك تقول: "أصبح هذا كله بالمجان، الكاتب يكتب وينشر بالمجان، يتلقى النقد على عمله ويطور من نفسه بالقراءة بالمجان، وأيضا توفر أداة البحث جوجل للكاتب منبعا لا ينضب من الأفكار، مع سهولة الوصول لأي معلومة شاء، لذلك بالتأكيد السوشيال ميديا لها الفضل علينا جميعًا".

ماريا:

بدايات الروائية المنتقبة ياسمين حسن لم تختلف كثيرا عن بدايات دعاء عبد الرحمن أو منى سلامة، جميعهن بدأن النشر على المنتديات الأدبية، وصدرت النسخ الأولى من رواياتهن إلكترونيا قبل أن يتوجهن للنشر الورقي، لكن تختلف تجربة ياسمين في الكتابة عن قريناتها، فهي لا تكتب أدبا بضوابط شرعية مثلهن، فقد نرى مشاهد عشق وعلاقات محرمة بين أبطال لا تربطهم علاقات شرعية،

على عكس روايات دعاء عبد الرحمن التي تلتزم فيها بذكر الأدعية والأحاديث النبوية وآيات القرآن خلال رواياتها، حتى في مداخلتها الصحفية اختلفت ياسمين حين قالت: "النقاب.. أيقونة تعني الحظر، لكن كعادتي المجنونة أحب تجربة كل ممنوع، كل ما لا يصح وما هو غير موافق لرضا المجتمع والناس فقط لكونه لا يعجبهم فهو يروقني وتروق لي تجربته، فما العيب في كوني منتقبة وكاتبة؟ وما العلة؟! قررت من اللحظة الأولى ألا أعتبر النقاب عائقا في كتابتي ولا رقيبا على ما أكتب حيث طالبني البعض بأن أحترم النقاب الذي أرتديه عندما أكتب". وترفض ياسمين اعتبار النقاب قيدا: "النقاب ليس قيدا بل هو إطار يحمي صاحبته، ويعطيها كامل حريتها..فلماذا تم تشويهه؟ تلك التي اختارت مواجهة المجتمع من حولها من خلال صوتها وحسب، اختارت ألا تظهر من وجهها شيئا وتتخلى عن كل ما تضعف أمامه الأنثى من مغريات الموضات والزينة لن يصبح من الصعب عليها أبدا كتابة أدب حر لا قيد فيه، إلا إذا كنت ترغب في أن يتجرد الأدب من صفته كأدب!".

مشاعر خارج النص:

الروائية والناشرة شاهندة الزيات تجاوزت حالة الكتابة لتصبح صاحبة دار نشر أصدرت العمل الأول لكاتبتين منتقبتين في معرض القاهرة 2017، ربما تنبأت وهي في التاسعة من عمرها أنها ستصبح كاتبة حين كتبت أول قصة وهي في تلك السن الصغيرة بعنوان "هي والمجهول" تحكي خلالها عن فتاة تتحدى المجتمع وتصبح

كاتبة.وتحكي شاهندة رحلتها مع الكتابة قائلة: "الكتابة لم تأت من فراغ أبدًا، هي نتاج طبيعي لقراءاتي لمختلف الكُتاب، فأنا من عشاق مصطفى صادق الرافعي، ومصطفى محمود، وأنيس منصور، والعقاد".

تحكي شاهندة الزيات أنها كانت تزور معرض القاهرة الدولي للكتاب سنويا بدون علم زوجها وبمساعدة أخت الزوج لشراء الكتب من سور الأزبكية، والتي تعكف على قراءتها طوال العام.

وعن تجربتها في النشر تقول: "بالفعل أسست دارا للنشر، ولكن كل الأعمال سواسية تمر على لجان تقييم وقراءة، وموهبة الأديب هي ما تقرر هل أدعمه بالنشر أم لا.. وليس زيه وتوجهه الديني والسياسي".

طروحات مغايرة للخطاب الديني:

الدكتورة هويدا صالح روائية وأستاذ النقد بجامعة مصر الدولية بدأت حديثها بسرد وصول جماعة الإخوان المسلمون إلى الحكم: "حدث في يوم ما أن وصل الإخوان المسلمون للحكم في مصر، وحين فكروا في اختيار وزير للثقافة بعيدا عن خيارات اليسار، وجدوا أنفسهم في حيرة، فلم يكن لديهم أي أسماء تصلح لتولي حقيبة الثقافة، وكانت بداية سقوطهم حين ثار المثقفون المصريون ضدهم في اعتصام وزارة الثقافة الشهير، ومن هنا أدركوا قيمة أن تكون لهم كوادر ثقافية، فهل هذا يفسر ظاهرة الروائيين الملتحين والروائيات المنتقبات، الذين واللاتي يكتبون ويكتبن روايات لها صبغة دينية؟ أم أن فقدان الثقة من قبل المصريين في طروحات الخطاب الديني، هو ما

جعل الإسلامويين يبحثون لأنفسهم عن مشارب أخرى للتسلل لوعي الناس غير هذا الخطاب، فلم يجدوا سوى الخطاب الثقافي ليغيروا من وعي الشعوب عبره؟ هل استبدل المشروع الإسلامي المؤدلج آليات تغييره وتسلله للشباب، فجاءت الرواية بديلا عن الخطباء والوعاظ؟ وخاصة في ظل ما حققته الرواية من مقروئية عالية بين الشباب على خلفية مقولة "زمن الرواية"؟".

حقوق تعبير أم تضييع لجماليات الرواية؟!

هويدا صالح تشير إلى أنه بعد استشراء ظاهرة الروائيات المنتقبات يتساءل قارئ ما أليس من حقهن الكتابة والتعبير؟ هل سنمارس عليهن المنع على خلفية نقابهن؟ لكنها توضح: "بعد قراءة عدد لا بأس به من كتابة هؤلاء المنتقبات قراءة جمالية أستطيع أن أقول مرتاحة البال أن هذه الروايات ضعيفة فنيا لدرجة ضيعت معالم وجماليات الفن الروائي الذي له جماليات استقرت منذ عقود سواء الرواية الكلاسيكية ومحافظتها على الحبكة والزمكانية وبناء الشخصيات أو الرواية الجديدة بطرائق سردها التي قام فيها الروائيون بتشظي السرد واللعب بالزمن والإفادة من جماليات حقول معرفية أخرى مثل الشعر والسينما والفن التشكيلي وغيرها من معارف. إن ما يطلق عليه رواية تجاوزا الذي تلاقي مقروئية مرعبة لم يحلم بها حتى نجيب محفوظ وخاصة من قبل شباب لا علاقة له بفن الرواية ولا ببقية فنون السرد. إنها حكايات ضعيفة تخلو من الجماليات، ومع ذلك تلقى إقبالا غير مفهوم لكنه يحتاج لوضعه في سياقاته المجتمعية".

الميديا الحديثة والترويج للرداءة:

وتضيف هويدا صالح: "قد يقول قارئ آخر إن الأدب الأخلاقي الذي يتبنى المواعظ والقيم أسلوبا له كان موجودا طوال الوقت حتى أثناء وجود عملاق الرواية العربية نجيب محفوظ فلماذا الانزعاج؟ أقول كان موجودا في سياق كانت تطبع من هذه الأعمال نسخا محدودة لا تصل إلا لقراء بعينهم وهم شريحة قليلة جدا، لكن الآن وفي ظل الميديا الحديثة وآليات التسويق للرداءة من الممكن أن يطبع نص، يطلق عليه تجاوزا رواية، يطبع عشرات الطبعات ويبيع مئات النسخ، من هنا يجب أن نتساءل عن القيمة الفنية والوعي الجمالي والتوقف النقدي أمام هذه الظاهرة، فليس ترفا أن نتناولها بالبحث النقدي، بل يجب علينا ذلك حتى لا نساهم في التكريس للرداءة".

ضد الخطاب النقدي المتحفز:

الدكتور حمدي النورج أستاذ النقد وتحليل الخطاب بأكاديمية الفنون يطرح رؤية نقدية مغايرة قال خلالها: "سيظل الخطاب على تعدده وتنوعه وثيقة كاشفة بما يحتويه من جملة الأفكار التي يطرحها، والتأثير المفهومي والقيمي الذي ينطلق منه، والنظرة الإبداعية لجوهر الأشياء وروح الفن. هذا التوثيق وفائدته المرجوة من أي خطاب يجب أن يقابله نوع من التعاطي النقدي غير المتحفز.. أقصد أن الخطابات على تنوعها ورؤيتها ومضامينها صالحة لحمل بذور أفكار كبرى قابلة للتحقق والنقاش والفعل والافتعال وأفكار غيرها قابلة للتعاطي

والثقـل.. نحـن لا نعدم الفكرة. كمـا أنه ليس من الواجـب أن نقولب الخطابات ونعلبها في صناديق جاهزة إقلالا وهجرا".

واعتمادا على ما سبق يشـير النـورج إلى أننا نقـرأ خطابات منتجة من خلال هوية اتسـم أصحابها بالتوجه الإسـلامي الراديكالي اعتمادا تصنيفيا في بدئه على الشكل والزي والموضوع ثم على جوهر الطرح والتناصيـات المعتمدة المتضمنة، موضحا أن العبرة بما يقال وليسـت العبـرة بمـن قال، ولافتـا إلى أنه ومـادام الخطاب أي خطـاب منطلقه جوهـر وديناميـة المجتمعات فإن أمر قبوله لا يخضع لسـلطة كهنوتية صنعها كهنوت بعض النقاد أو حتى المبدعين الذين يطرحون خطابهم من شباك غرفهم ليلا ثم هم يرفضونها صباحا، على حد قوله.

النـورج يـرى أنه لا حكر علـى أي خطاب ولا سـلطان أبوي قاهر ومضيـق لأفـق الإبداع ورغبـة مبدع ما فـي أن يطرح خطابـه ما دامت تقنيـات الإبداع وحركته وخطواته ومدارجـه واضحة وجلية، ومضيفا أنـه ليـس من حق آلـة النقد بحياديتهـا أو جموحهـا أن تنعت الخطاب طبقا لحالية الاقتراب أو الابتعاد عن جوهر الدين.

وينهـي النورج حديثه قائـلا: "نحن ندور كمـا دار غيرنا في الفلك نفسـه، وبعيدا عـن تتبـع الظاهـرة، أمامنا ما يعـرف بإبـداع المنتقبات وأمامنـا أيضا ما يعـرف اصطلاحيا بالروايـة الإيروتيكية، لماذا يحتفي النـاس بالأخيرة ثم هم يغضون الطرف عن تجارب نسـوية جادة بعيدا عن سمت الزي وطقسه".

* * *

أنصار الأدب الإسلامي يقيدون الإبداع

"يا أحمد مراد.. إن الأدب في التأدب مع الله، وإلا يسمى قلة أدب مهما كانت جودته ودواعيه". بهذه الكلمات انتقد أحد القراء على موقع القراءة جود ريدز رواية الكاتب المصري أحمد مراد "موسم صيد الغزلان" الصادرة حديثًا عن دار الشروق بمصر. وفي السياق نفسه وجه مئات القراء انتقادات لرواية مراد الأحدث بدعوى أنها رواية إلحادية غير أخلاقية.

تقييم رواية مراد المنطلق من منظور ديني ومطالبته بكتابة روايات تحترم التصور الإسلامي، أعاد للأذهان مرة أخرى المسألة التي انشغلت بها دول العالم الإسلامي في حقبة الثمانينيات، والخاصة بالحديث عن مصطلح الأدب الإسلامي، التي انبثقت عن "رابطة الأدب الإسلامي العالمية" بدعوى من الشيخ أبو الحسن الندوي في الهند، وتأسست الرابطة في السعودية عام 1984 لتخرج عنها سلسلة من الإصدارات ما بين الكتب والدراسات والمجلات الأدبية التي تحدثت عن وجود أدب إسلامي منذ بعثة الرسول ﷺ قبل 1400 عام وحتى اليوم.

اعتراضات القراء على رواية مراد ليست بجديدة، إذ بدأتها الرابطة قبل ثلاثين عامًا حين وضعت 16 شرطًا لتحقيق أهدافها وأعمالها، كان على رأسها تعريف مصطلح الأدب الإسلامي وهو: "التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي" وأيضًا: "الأدب الإسلامي أدب ملتزم، والتزام الأديب فيه التزام عفوي نابع من التزامه بالعقيدة الإسلامية، ورسالته جزء من رسالة الإسلام العظيم".

الدكتور جابر قميحة (1934- 2012) أستاذ الأدب بجامعة عين شمس بالقاهرة وعضو جماعة الإخوان المسلمون كان أحد المدافعين عن مصطلح الأدب الإسلامي، حيث قال في تعريفه لهذا النوع من الأدب إن "الإسلام شرط أساسي في وصف الأديب المسلم، أي أن مبدع الأدب الإسلامي يجب أن يكون مسلمًا...". وفي وصف قميحة لوضع الإبداع الموجود حاليًا قال: "والإبداعات الموجودة على الساحة الآن في بعضها ملامح من الأدب الإسلامي، ولكن كثيرًا منها يعتبر أدبًا ساقطًا ماجنًا، يرفضه لا أقول الأدب الإسلامي فحسب، ولكن الإسلام نفسه".

أنصار مصطلح الأدب الإسلامي وأعداؤه حصروا المواجهة دائمًا من خلال الحديث عن بعض رموز الأدب الإسلامي في العصر الحديث مثل: مصطفى صادق الرافعي، ونجيب الكيلاني، وسيد قطب، ومحمد سعيد العريان، وآخرين، في محاولة للتدليل على وجوده، دون التقيد بشروط أو معايير أو شكل ما للأدب الذي يحاول رافضو المصطلح تصديره خلال توجيه اعتراضاتهم لكتابات هذه

الأسـماء، والدفـع بأنها كتابـات لا يتوافر فيها الشـكل المتعارف عليه لـلأدب.. فقد كان الصراع دائمًا علـى أرضية أكاديمية بحتة بين القائل بأنـه لا قيد على الأدب، أو الحديث عن ضـرورة أن ينطلق الأدب من تصور إسـلامي أخلاقي، إلا أن المسـألة التي أخذت بعدًا أكاديميًا في الظاهر، لم يكن تفسـيرها ينفصل عن البعد السياسي الذي سيطر على المشـهد العـام فـي دول العالـم العربي والإسـلامي فترة السـبعينيات والثمانينيـات، فـي محاولة لاسـتخدام كل الإمكانـات المتاحة دفاعًا عن مشـروع الدولة الإسـلامية التي سـعت لتقديمه جماعات الإسلام السياسي المعاصرة.

المؤسس أبو الحسن الندوي:

مؤسـس المصطلح الشـيخ أبو الحسـن الندوي (1914- 1999)، أنشـأه في شـبه القارة الهندية؛ من أجل مقاومة التمييز ومواجهة السيخ والبوذيين وغير المسـلمين من جهة، ولمقاومة الاستعمار الإنجليزي مـن جهـة أخرى؛ ويظهر البعد السياسـي في السـعي مـن أجل تصدير المصطلـح عنـد محاولـة التنقيـب عن الأسـماء التـي وضعت ضمن معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين، الذي صدر في الأردن بالتنسيق مـع رابطـة الأدباء الإسـلاميين العالمية، لنجد اسـم شـكري مصطفى (1942- 1978) مؤسـس جماعـة "التكفيـر والهجـرة" المتطرفة قاتلة الشيخ الذهبي وزير الأوقاف المصري في حقبة السبعينيات، وجاء في تعريف معجم الأدباء الإسـلاميين: "شكري مصطفى كان معروفًا بين زملائه بكنية أبو سـعد الأسـيوطي... كان داعية إسـلاميًا منذ صباه...

كان شـاعرًا منذ نعومة أظفاره، وكانـت أولى قصائده عام 1957 عندما كان في السادسة عشرة من عمره".

الكتابة الجديدة والدعاة الجدد:

المواجهات في فترة الثمانينيـات انحصرت في مناظرات أكاديمية بيـن متخصصين فـي الأدب والنقد من كلا الجانبين، غيـر أنها لم تلقَ الـرواج نفسـه والاهتمـام بين قراء تلـك الحقبة، خصوصًـا مع تراجع مستوى القراءة مصريًا وعربيًا فترة الثمانينيات، مع صعود نجم تيارات الإسـلام السياسـي وتراجع نفوذ اليسـار، المسـألة التي اختلفت نهاية التسـعينيات وأوائـل الألفية الثالثة، مع ظهور ما عـرف إعلاميًا بظاهرة الدعـاة الجدد؛ حليقي اللحى أصحاب الياقات البيضاء، الذين سـعوا لتقديم صورة أكثر حداثة وليبرالية للإسلام؛ فخرج الداعية عمرو خالد كنمـوذج بمحاضـرات عن الحب الإسـلامي والمصيف الإسـلامي، وقـدم الداعية راغب السـرجاني محاضرة عن القـراءة بعنوان "القراءة منهـج حيـاة" قسـم فيهـا مراتب القـراءة عند الفرد المسـلم إلى عشر درجات، بدأها بقراءة القرآن في المرتبة الأولى، وختمها بقراءة الأدب في المرتبة الأخيرة، مع مطالبة الشـباب بالحرص في القراءات الأدبية حتى لا تؤثر على بقية القراءات الأهـم من حديث وفقه وعقيدة.

نتـج عن صورة الإسـلام الليبرالـي الذي قدمه الدعـاة الجدد جيل مـن القراء والكتاب تربى على يد هؤلاء الدعاة، جيل يضع قيودًا حول إبداعـه حين يكتب أو يقرأ، جيل قد تصدمـه كلمة بذيئة في رواية "من وجهة نظره" أو وصف لعلاقة جنسية بين بطلي رواية، أو رؤية شاطحة عن الله والأديان.

تلك الميول التي سيطرت على القراء والأدباء الشباب بعد ثورات الربيع العربي في تفضيل الأدب ذي البعد الإسلامي، انتبهت لها دور نشر الشباب التي تأسست بكثرة في القاهرة بداية من عام 2012، بعد تراخي القيود الأمنية التي عملت على تحجيم صناعة النشر والصناعات المرئية والمسموعة قبل عام 2011، إلى جانب فتح المجال لدور النشر التابعة لتيار الإسلام السياسي لتلتحق عشرات الدور التابعة لجماعات الإسلام السياسي باتحاد الناشرين المصريين، حيث ارتفع عدد دور النشر صاحبة العضوية في الاتحاد من 260 دار نشر عام 2012 إلى 700 دار نشر عام 2018، وكانت سببًا في نجاح عضو جماعة الإخوان المسلمون في القاهرة عاصم شلبي في انتخابات رئاسة الاتحاد عام 2012، وسعت تلك الدور للتحكم في ضوابط ومعايير نشر وعرض وبيع الكتابات الأدبية للشباب، حيث أشار كتاب مصريون من الأجيال الأكبر إلى منع مكتبات بيع الكتب عرض أعمالهم المنشورة بسبب تضمنها تداخلات مع الجنس والدين أو السياسة بشكل لا يستهويه القراء الشباب الآن، وسعى بعض الناشرين إلى توجيه الأدباء الشباب قبل نشر أعمالهم ومطالباتهم بحذف الفقرات التي تنتهك تلك التابوهات.

المنتقبة الحسناء:

تناول مصطلح الأدب الإسلامي سابقًا لم يكن يحتاج للتعامل مع تيار الإسلام السياسي ككتلة واحدة، فإذا كانت جماعة الإخوان المسلمون تسعى كنموذج لاستخدام جميع الأدوات المتاحة للترويج

لفكرتها عن الدولة الإسلامية الحديثة، فإن جماعات السلفية التقليدية أو السلفية الجهادية كانت تنظر للأدب باعتباره علمًا لا ينفع، وأن الأفضلية لقراءة القرآن وكتب الحديث والفقه وعيش الفرد في كنف الله بعيدًا عن ملهيات الحياة. هذه الرؤية ربما تغيرت جذريًا في السنوات الخمس الأخيرة التي أعقبت ثورات الربيع العربي، إذ صدرت خلال هذه السنوات 26 رواية لعشر كاتبات منتقبات في مصر فقط. تدور معظم هذه الروايات في فلك الدعوة إلى الفضيلة والتمسك بتعاليم الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أصبح المشهد الثقافي في التعامل مع المصطلح مختلفًا بعد ثورات الربيع العربي عن الفترة التاريخية التي عاصرت نشأة المصطلح؛ فبعد أن كان الحديث عن الأدب الإسلامي حديثًا وليدًا يلقى التعنت ومحاولات التحجيم من اليسار المصري الذي كان مسيطرًا على عملية نشر الإبداعات وتقديمها للقراء من خلال مطبوعاته الأدبية، تبدلت المسألة وأصبحت إبداعات اليسار تواجه بالتحجيم من قبل منافذ بيع الكتب ونشرها، في حين تتصدر واجهات بيع الكتب في القاهرة كتابات المنتقبات الأعلى مبيعًا، والكتابات التي تنطلق من التصور الإسلامي، المتماهية مع البعد الأخلاقي والديني المنطلق من عقيدة جماعات الإسلام السياسي.

* * *

"الناقد الرقمي".. أحدث ظواهر السوشيال ميديا الثقافية

من الظواهر الثقافية المتأثرة بالسوشيال ميديا التي انتشرت مؤخرا ظاهرة "الناقد الرقمي"؛ آراء انطباعية يقدمها القراء عبر وسائط شبكات المعلومات، بدأت على استحياء مع ظهور عصر المدونات في أوائل الألفية الثالثة، إلا أن تعدد الوسائط واتساع رقعة القراءة وزيادة عدد الكتب المطبوعة دفع لظهور موقع يجمع أصحاب هذه المراجعات لتخرج علينا شبكة "جود ريدز" موقع القراءة الأشهر في العالم.

جود ريدز الذي استحوذت عليه شركة أمازون عام 2013 دون الإفصاح عن قيمة العقد في حينه يستخدمه 20.3 مليون قارئ داخل أمريكا وهي في المرتبة الأولى بين قائمة المستخدمين، وتأتي مصر رقم 11 بواقع حوالي 509 آلاف وتحتل مدينة القاهرة المرتبة رقم خمسة على مستوى مدن العالم المستخدمة للموقع بواقع 381 ألفا، وتحل السعودية رقم 13 عالميا بواقع حوالي 423 ألفا.

381 ألف مستخدم فقط داخل القاهرة يكتبون آراءهم الانطباعية عن الكتب التي قرأوها، ومع زيادة عدد مراجعات كتاب بعينه يحدد بقية القراء أحقية أي كتاب بالاقتناء من عدمه، لندخل دائرة جديدة من

عصر الاستغناء عن الناقد بشكله الكلاسيكي الذي كان نافذة القراء والكتاب أيضا لمعرفة كل ما هو جديد.

إزاحة النخبة:

الدكتور خالد الغمري أستاذ مساعد اللغويات الحاسوبية بجامعة عين شمس وأحد مؤسسي مرصد المحتوى العربي على شبكة الإنترنت يشير إلى أن مستخدمي السوشيال ميديا في العالم حوالي مليارين ونصف المليار، فيس بوك يستحوذ على مليار و860 مليونا، تويتر 913 مليون مستخدم نشط شهريا، جود ريدز 50 مليون مستخدم في العالم. موضحا دور السوشيال ميديا في إزاحة النخبة: "مواقع التواصل الاجتماعي منحت بعض مستخدميها سلطة لصياغة الأجندة الثقافية، هذه السلطة كانت قبل ذلك حكرا على المؤسسات والنخب الثقافية التقليدية. ولا بد هنا من الإشارة إلى أمر مهم وهو أن الموجة الثانية من الإنترنت التي تمثلت بداية في المدونات والآن في مواقع التواصل الاجتماعي وثقافة الويكي والإنتاج الجمعي للمعرفة.. هذه الموجة من أهدافها المعلنة صراحة: إزاحة النخبة وتمكين الجماهير".

دينا نبيل طبيبة ومدونة، كانت واحدة من أشهر المستخدمين لموقع جود ريدز في القاهرة، حتى تسبب كتاب مصريون في إغلاق صفحتها بعد بلاغات قدموها للموقع، تحكي دينا نبيل عن التجربة: "بدأت التدوين عام 2009 في مدونة "رفايع" ضمن عشرات المدونات التي

أنشئت في تلك الفترة، في البداية كان التدوين عن مختلف المواضيع: سياسية وفنية وكتب. لاحقا تم التركيز على الكتب. ثم جاءت مرحلة الجود ريدز التي أكسبت كتابة المراجعات زخما وتنوعا ملحوظا وبالفعل وصلت للتعليق رقم ألف في بضع سنين، مع الشهرة وربما مع بعض التأثير على مبيعات بعض الروايات الشبابية تم إغلاق حسابي على الجود ريدز وضياع حوالي ألف مقال بسبب شكاوى بعض المؤلفين الشباب التي أرسلوها للموقع معترضين على حدة النقد خاصة أنهم اعتادوا على المدح الأعمى".

نخبة نقدية رقمية:

يضيف خالد الغمري أن مجرد نظرة سريعة على موقع جود ريدز سوف تكشف بسهولة أن هناك "نخبة نقدية رقمية على الموقع يتابعها الكثيرون ويتأثرون برأيها وبتوصياتها بالكتب التي تستحق القراءة" هناك نماذج أكثر من رائعة من خارج المؤسسة التقليدية للنقد، ونماذج أخرى استطاعت أن تمزج بين أفضل ما في العالمين: الافتراضي أو الرقمي والتقليدي، وأعتقد أن من استطاع تحقيق هذا المزج حقق المعادلة الصعبة: بين النقد الرصين من حيث قيمته، والجذاب من حيث صياغته بما يتناسب مع طبيعة الوسيط الرقمي، وهناك الآن كثيرون من الكتاب والروائيين الذين يعتمدون على متخصصين لإدارة صفحاتهم وحساباتهم على هذه المواقع، هؤلاء أدركوا ولو متأخرا أهمية الحضور على هذه المواقع، خاصة أنها المكان المفضل

لكثير من قرائهم ومتابعي كتاباتهم، باختصار يمكن القول إن الكتب والكتاب غير الحاضرين على هذه المواقع، يمكن اعتبارها غير موجودة".

يوتيوب:

تطور اهتمام القراء بالآراء المسجلة عن الكتب في جود ريدز وفيس بوك وتويتر وتسببت هذه الآراء في الترويج لكتب بعينها شجع آخرين لتطوير أدواتهم، فلماذا لا تكون المراجعة مصورة؟ أصبح موقع يوتيوب تلفزيون الجماهير البديل، لست في حاجة لانتظار برنامج ثقافي على قناة فضائية أصبح لا يأتي أبدا بعد تراجع اهتمام الصحف والقنوات الفضائية بصفحات وبرامج الثقافة.

ضحى الحداد مهندسة كويتية تقدم قراءات مصورة بشكل دوري على قناتها بموقع يوتيوب: "لست ناقدة، أنا ببساطة أبدي رأيي بالكتب التي قرأتها، وبما أنه في محيطي لا يوجد قراء فلجأت لليوتيوب لإيجاد قراء على نفس ذوقي، نتشارك ونناقش آراءنا".

ضحى الحداد أبدت رغبتها في أن يصبح هناك اهتمام أكبر بالظاهرة، وضربت مثلا بما تقوم به دور النشر الأمريكية والبريطانية مع أصحاب هذه القنوات في بلادها: "يشجعون القراء على إبداء رأيهم في البداية، وإذا حققت القناة شهرة على يوتيوب يرسلون إليها الكتب مجانا بغرض الإعلان، حتى لو كان تقييم القارئ عن العمل سلبيا، وأحيانا تنظم دور النشر حفلات توقيع للكتاب يستدعون فيها أصحاب القنوات المشهورة لتقديم الحفل".

انا قارئ ولست ناقدا:

سامح ياسين يقدم مراجعاته على موقع يوتيوب هو أيضا، تواصلنا عن طريق موقع فيس بوك، وأجرينا المقابلة عبر مكالمة فيديو باستخدام "gmail" وأجرى قبل اللقاء بحثا سريعا على جوجل قرأ خلاله مقالاتي ليعرفني، لم نتقابل أبدا، فقط السوشيال ميديا أذابت كل الفواصل، لكنها في نفس الوقت لم تصبح حتى الآن بابا لمعرفة سامح لأسماء النقاد والأدباء المكرسين. باب الاعتراف بالناقد أو الكاتب لدى النقاد الرقميين هو تواجدهم على السوشيال ميديا، غير ذلك فأنت بالفعل غير موجود لديهم ولدى آخرين: "شخصيا لا أعرف أسماء النقاد الكبار، كل ما أعتمد عليه هو تقييم القراء على موقع جود ريدز أو الصفحات الرسمية للكتاب، أو صفحات مكتبات بيع الكتب على السوشيال ميديا".

لكنه في نفس الوقت أبدى استعدادا لمعرفتهم سعيا لتطوير أدواته النقدية، حين اهتم بالسؤال عن ترشيحات لأفضل الصحف الثقافية والمجلات النقدية الورقية التي عليه متابعتها.

تطوير الأدوات:

منذ أسابيع أطلق مجموعة من طلاب وخريجي معهد السينما في القاهرة برنامجا مصورا على موقع فيس بوك عنوانه "الفيل السعيد" لتقديم مراجعات الكتب والتعريف بالكتاب وتناول الظواهر الثقافية، اعتمدوا في كتابة حلقاته على محرري ثقافة ونقاد شباب، مما يعد

انتقالا مهما من مرحلة الهواية لمرحلة أكثر احترافية. مخرج الأفلام التسجيلية إسلام أمين عضو مؤسس بالمشروع يحكي عن التجربة: "جمع معظمنا هدف مشترك، أننا حين نقدم للعمل في أي قناة فضائية كمثال نسأل عن الخبرات العملية، هنا قررنا عمل فيديوهات بشكل تعاوني بيننا وتدشين منصة على موقع فيس بوك، ولأن جميعنا يهتم بالكتب فكانت فكرة برنامج "الفيل السعيد" وتقديم مجموعة من الفيديوهات التي تتناول الكتب والظواهر الثقافية".

فكرة البرنامج لم تكن عشوائية بل سبقها مجموعة من الدراسات وقراءة المشهد العام "وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات قالت عام 2016 الآتي: 38 مليون مصري يتصفحون الإنترنت. بينهم 32 مليونا على فيس بوك، في المقابل أي استثمار في قناة فضائية صغيرة سيكون مصدر دخل كبيرا".

* * *

عن السرقات الأدبية والقوانين الرخوة

في كتابه "مقتنيات وسط البلد"، يروي الكاتب والروائي المصري الراحل مكاوي سعيد، تحت عنوان "السينمائي"، قصة شاب قروي حضر إلى القاهرة ليعمل في مجال السينما، وبدأ حياته العملية "مشهلاتي" (شخص يقوم عنك بمهام بسيطة مقابل المال)، لكن طموح ذلك الشاب كان أكبر من ذلك. حتّى جاء اليوم الذي غيّر حياة ذلك الشاب، حين تحدى العاملين في مكتب المنتج السينمائي الشهير الذي يعمل به، أن يكتب سيناريو فيلم كاملٍ في 6 ساعات، وطبعًا قوبل تحدّيه هذا بسخرية الجميع، لكنّه مع ذلك أحضر مجموعة من الأفلام الأجنبية المسجلة، وجلس في غرفة يشاهدها، ثم خرج عليهم وهو يحمل بين يديه سيناريو فيلمه الأول. لكن تبيّن للحضور، بعد ذلك، أن الشاب القروي دمج أحداث الأفلام التي شاهدها ليكوّن منها جميعًا سيناريو فيلمه الجديد، ما عدّه الناس وقتئذٍ سرقة. وقد أصبح الشاب عضوًا في نقابة السينمائيين، وله بعض الأعمال التلفزيونية، إلى جانب أنّه كتب، في السنوات الأخيرة، أحد أفلام واحدٍ من أشهر ممثلي الكوميديا، كما أكّد الكاتب في "مقتنيات وسط البلد".

وذكر سعيد في كتابه، أن ذلك الشاب القروي لم يقبل أن يُتهم بالسرقة، والمسألة برأيه لم تتعدَّ كونها "تفتيح مخ"، و"فهلوة"، وبرّر ذلك بأن السيناريو الذي كتبه مختلفٌ تمامًا عن الأفلام التي اقتبسه منها، وذلك مجهودٌ يمنحه الحقّ في امتلاك ما سرقه.

مؤخرًا، مع ثورة الإنترنت وتكنولوجيا المعلومات، التي ضخّت بيانات ومعلومات لا تحصى، باتت عملية النسخ والاقتباس سهلةً، وازدادت الاتهامات الموجَّهة لأدباء بسرقة أعمالهم الروائية، التي نالوا بها مراتب متقدمة، وحازوا بفضلها جوائز مهمّة، مثل: رواية "الفيل الأزرق" لأحمد مراد، الذي اتُّهم بسرقة فكرتها من فيلم أجنبي، وطالت الاتهامات روايات، "عزازيل" ليوسف زيدان، و"ضارب الطبل"، لأشرف الخمايسي، ورواية "نادي السيارات" لعلاء الأسواني. ثم اتسعت دائرة الاتهامات، حتى أصبحت لا تلقى اهتمامًا لدى القارئ، الذي يجد اتهامات السرقة لا تقابلها عقوبات للمؤلف، أو سعي من أجل إعادة الحق لصاحبه الأصلي، أو تأكيد لها وبقائها في دائرة الاتهام غير المستند لدليل!

تشعبت اتهامات سرقة حقوق الملكية الفكرية، ولم تعد تقتصر على سرقة أفكار الأعمال الأدبية؛ بل طالت سرقة ألحان موسيقية، وتعريب أغانٍ وأفلام أجنبية، وتقديمها للمشاهد العربي على أنها تُعرض للمرة الأولى.

في السياق نفسه، ذكر وزير الثقافة المصري السابق، حلمي النمنم، في تصريحات صحفية، أن الجامعات المصرية تحتل المركز الأول

في سرقة البحوث العلمية على مستوى العالم، مؤكدًا عدم كفاية الإجراءات المتَّخذة للقضاء على هذه الظاهرة.

ورغم غزارة الكتابات التي تحدثت عن السرقات الأدبية، وسرقة حقوق الملكية الفكرية، لكنّ هذه الكتابات لم تقدّم معيارًا واضحًا، نستطيع أن نتحرى وجود تعدٍّ على حقوق الملكية الفكرية من عدمه. سواء بالاستناد إلى قانون حماية حقوق الملكية الفكرية المصري، رقم 82 لسنة 2002، أو الاتفاقات الدولية التي وقعتها مصر والدول العربية، خاصّة ما ورد في اتفاقية "برن" لحماية المصنفات الأدبية والفنية، أو اتفاقية الجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية "تريبس".

ليست سرقات أدبية:

طبقًا لاتفاقية "برن"، والتشريعات المنظمة لحقوق الملكية الفكرية، في الدول أعضاء منظمة التجارة الإعلامية؛ فإن معظم الاتهامات الموجهة لأدباء عرب بالسرقة الأدبية ليس لها سندٌ قانوني؛ فالحماية، بحسب هذه التشريعات والاتفاقيات، لا تشمل مجرد الأفكار، ولو كانت معبرًا عنها، أو موصوفةً، أو موضّحةً، أو مدرجةً في مصنف، فالمؤلف، بذلك، لو أخذ فكرةً، وعالجها بطريقته، ثمّ قدمها بأسلوب خاص به، فإنه يخرج من دائرة الاتهام.

طبقًا للقانون، فإن العمل الأدبي الذي تقع عليه حماية نصوص القانون، يجب أن يكون من نتاج الذهن، أيًا كانت طريقة التعبير عنه، وتسري حماية حقوق المؤلف على النتاج، لا مجرّد الأفكار،

أو الإجـراءات، أو أسـاليب العمـل. إذًا، الحمايـة للإنتـاج المـادي المحسوس وليست للجهد الذهني.

لا يكفـي أن يكون العمل ذهنيا، بل يُشـترط أن يكون مبتكرا أيضا، وقد عرّف القانون المصري الابتكار، بأنه "البصمة الشخصية للمؤلف علـى المصنـف، باعتباره نتاجـا ذهنيا خاصـا بالمؤلف متميـزا به عن غيره".

إن مـا صدر بقـرار رئيس مجلس الـوزراء المصري رقـم 497 عام 2005، فـي اللائحـة التنفيذية للكتاب الثالث من قانـون حماية حقوق الملكيـة الفكريـة، الصـادر بالقانـون رقـم 82 عـام 2002، لا يشـترط لإثبـات ملكيـة المنتـج الإبداعي، تسـجيل العمـل في مكتـب حماية حقـوق المؤلـف المصري، أو إيـداع نسـخ معينةٍ من الكتـاب في دار الكتب والوثائق المصرية؛ فتلك مسائل شكلية، وطبقًا لاتفاقية "برن": لا يخضع المؤلف لأي إجراء شـكلي، من أجل التمتع بملكية منتجه، أو ممارسة حقوقه.

أيضـا، لا تشـمل الحماية الأخبـار والوقائـع الجاريـة، التي تكون مجـرد أخبار صحفيـة، فتلك نقلها مشـروع دون الإشـارة لمصدرها، وتتمتـع بالحماية فقط إذا تميـز جمعها بالابتكار في الترتيب، أو كانت نتاج مجهود شخصي جدير بالحماية.

قوانين لم تكتمل:

منذ إنشـاء منظمة التجارة العالمية، في 15 أبريل عام 1994، برزت إلـى جانب أزمة السـرقات الأدبية، جدليات أخرى لـم تحسـم، تتعلق

بحماية حقوق المؤلف وقانون الملكية الفكرية، وقد تضمنت الاتفاقية الجوانب المتعلقة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية، المصطلَح على تسميتها اتفاقية "التريبس"، ذلك أن المنتج الأدبي له خصوصية تجعل من الصعب تكييف وضعه القانوني، فهو ليس منتجًا ماديًا بالشكل الذي نستطيع أن نتعامل معه تجاريًا، مثل البضائع التجارية، ويقر، في الوقت نفسه، حقوقًا مالية للمؤلف، تضعه داخل بند حقوق الملكية، لا الحقوق الشخصية اللصيقة بالفرد، وهي مسائل لم تحسمها قوانين دول أعضاء المنظمة حتى اللحظة.

إلى جانب ذلك، توجد صعوبات في تحديد مدى حماية بعض التفاصيل الأخرى الخاصة بحقوق المؤلف، مثل عنوان المصنف الأدبي؛ إذ لا توجد مادة صريحة، في الكتاب الثالث من القانون، تذكر حماية العنوان. لكنّ مواد الكتاب الثاني من القانون، تناقش ما يخص العلامة التجارية، ويندرج تحت هذا القانون كل ما يميز المنتج عن غيره، سلعة كان أو خدمة، خاصة الأسماء التي تتخذ شكلًا مميزًا... إلخ.

تفسيرًا لهذا القانون؛ هل نستطيع أن نعدّ عنوان المصنف الأدبي علامةً تجاريةً تخضع لأحكامه، أم إن العنوان محمي لأنه جزء من المصنف الأدبي غير منفصل عنه؟

في الفقرة 13 من المادة 140 من القانون المصري، وفي إطار الحديث عن المصنفات المشتقة، أي المصنفات الذي يُستمد أصلها من مصنف سابق، مثل الأغنية التي تعتمد على كلمات الشاعر

وموسيقى الملحن، تنص المادة على أن هذه المصنفات تتمتع بحماية هـذا القانون، وذلك دون الإخلال بالحمايـة المقررة للمصنفات التي اشتقت منها، وتشمل الحماية عنوان المصنف إذا كان مبتكرًا.

بشـكل غيـر مباشـر، تحدثـت المـادة عـن وجـود حمايـة لعنوان المصنف الأدبي، شـريطة أن يكون مبتكرًا، ويقصـد بالابتكار: الطابع الإبداعي الذي يسبغ الأصالة على المصنف.

وحتـى تلـك اللحظـة، تتواجد فـي المكتبـات المصرية عشـرات الكتابات التي تحمل العنوان نفسـه، وتتعدد أحيانًـا، لتتجاوز العملين والثلاثـة والأربعـة، جميعها لهـا العنوان ذاتـه، وذلك فـي الكتب، أو الأغنيات، أو أفلام السينما.

فـإذا افترضنا أن عنـوان المصنف الأدبي هو علامـة تجارية، فطبقًا للقانـون؛ لا يسـتطيع أي فـردٍ آخـر اسـتخدام العنـوان نفسـه، ويعد استخدامه مخالفةً للقانون، يتعرض مرتكبها للمساءلة القانونية.

الكتاب المزور:

مـن القضايا الشـائكة أيضًا، فيمـا يخص حقوق الملكيـة الفكرية، عمليـات تزوير الأعمال الأدبية، وبيعها في الأسـواق العربية، وسـرقة الحقوق المالية للمؤلف والناشر، فطبقًا لتقرير نشرته منظمة الجمارك العالميـة، فـإن حجم التجارة في السـلع المزيفة بلـغ 760 مليار دولار فـي العالـم، عـام 2010، بنسـبة أربـاح تصل إلـى 800٪، بينمـا أرباح الهيرويـن، في الفترة نفسـها، بلغـت 400٪. وإذا وضعنا فـي الاعتبار

حجـم الخطورة، فـإن التجارة في السـلع المزيفة أقل خطـورةً، وأكثر ربحًـا، خاصـةً أن أغلب القضايـا الخاصة بحقـوق الملكيـة الفكرية، يصبح لا محل لها من الإعراب، إذا أثبت من وجِّهت إليه التهمة حسن نيته، وأنه لم يقصد الإضرار بصاحب حق الملكية الفكرية.

وفى السـياق نفسـه؛ فإن واضعي القوانيـن المنظمة لحماية حقوق الملكيـة الفكرية، لم يراعوا التطور السـريع لتكنولوجيـا المعلومات، والثـورة التـي أحدثتهـا "السوشـيال ميديا" فـي حجم البيانـات، حتى أصبحـت المسـألة فـي حاجة إلـى إعـادة تعريف كثيـر مـن المفاهيم الخاصة فـي حقوق المؤلف، ووضع قوانين أكثـر مرونةً، تكون قادرةً على ملاحقة زخم قواعد البيانات على شبكات الإنترنت.

* * *

مافيا تزوير الكتب

وقف مسؤولو وزارة الثقافة المصرية ورئيس اتحاد الناشرين المصريين يفتتحون معرض الإسكندرية للكتاب في دورة 2016، غير منتبهين وهم يتصفحون أحدث إصدارات دور النشر المصرية المشاركة في المعرض إلى أن بعض دور النشر المشاركة التي يتفقدونها تضم كتبا عربية وأجنبية مقلدة غير أصلية بالمخالفة للقانون، لتأخذ قصة تزوير الكتاب التي ألقت بظلالها على سوق صناعة الكتاب المصري والعربي منذ أكثر من 20 عاما منحنى جديدا. ربما ذلك ما دفع بعض الناشرين عام 2015 للتفاوض مع مزوري الكتب في محاولة لإيقاف نزيف خسائرهم عن طريق عرض تزويد أصحاب المكتبات في سور الأزبكية بطبعات شعبية بنفس سعر الكتاب المزور مقابل وقف عمليات طبع الكتاب بشكل غير شرعي. لكن يظل السؤال قائما، هل سينتهي عصر تزوير الكتب وانتهاك حقوق الملكية الفكرية للمؤلف والناشر.

* * *

إمبراطورية الكتاب المزور

شريف الليثي صاحب ومدير دار تويا للنشر والتوزيع تزعم عام 2015 دعوة للتفاوض مع مكتبات سور الأزبكية والمطابع التي تطبع كتبا مقلدة مفادها أن تقوم دور النشر بتوريد طبعات خاصة لسور الأزبكية في مقابل وقف عملية تزوير الكتاب، وقدم بالفعل طبعة أولى خاصة بالسور من كتاب "الورقة" للفنان إسلام جاويش.

دعوة الليثي قابلها بعض الناشرين بالترحاب، وهاجمها آخرون بحجة أن المفاوضات مع لصوص الكتب لا تجوز وأنه بهذا الاتفاق يحصل هؤلاء على شرعية تمكنهم من التزوير تحت أعين القانون وحمايته.

الليثي ذكر حوارا دار بينه وبين مزور للكتب أغلق جناحه في معرض القاهرة بعد إثبات تزويره للكتب قائلا: "المزور جالي وقاللي على طريقة تجار المخدرات هخلي واحد من اللى شغالين عندي يشيل القضية وكلها في الآخر غرامة وهدفعاله.. فقولتله انت عندك كام واحد قاللى عندي سبعة.. قولتله هخلصهملك كلهم، قاللي هجيب تاني، العيال ما بتخلصش".

وأشـار الليثي إلى أن التجربة التي يتزعمها ستقدم كتابا طبع بشكل محترم لكن بأسـعار زهيـدة ليغلق الباب على مـزوري الكتاب وحتى وإن لم يربح شيئا من هذه النسخ المخفضة، موضحا أنه لن يخسر شيئا لأنه بالفعل خسـر حين ترك السوق لسيطرة مزوري الكتاب والإضرار بصناعة النشر في مصر.

* * *

ضعف العقوبات المقررة على المزورين

محمد خضر مدير التوزيع بمكتبات الشروق قال إن الدار بدأت رحلة المعاناة مع الكتاب المزور من السوق الخارجي أواخر التسعينيات من القرن الماضي حين تقدم أحد الناشرين في مصر إلى مناقصة لتوريد الكتب لإحدى الجهات الحكومية في ليبيا وقدم لهم نسخا مزورة من كتابين للدكتور محمود شلتوت، الأول: كتاب "الإسلام عقيدة وشريعة"، والثاني: كتاب "من توجيهات الإسلام"، موضحا أن مسؤولي الدار سافروا إلى ليبيا وتواصلوا مع الجهة الحكومية وهي جامعة ليبية وحصلوا على نسخ مزورة من الكتاب والتي قام بتوريدها ناشر مصري لم يكن في ذلك الوقت عضوا في اتحاد الناشرين المصريين.

خضر أشار إلى أنه كان من الصعب في الماضي أن تجد كتابا مزورا في مصر وذكر موقفا حدث مع صاحب مكتبات ودار الشروق إبراهيم المعلم حين كان يتمشى إلى مقر المكتبة في وسط البلد عام 2005 ليجد عربة محملة بنسخ مزورة من إصدارات الشروق فاستوقفها وأحضر الشرطة وتم تحرير محضر بالواقعة.

ولفت خضر إلى أن اليوم اختلف الوضع حيث أصبح المزورون معروفين بالاسم ومع ذلك لا يقترب منهم أحد، وذلك عائد لتردي الأوضاع الأمنية بعد أحداث يناير إلى جانب ضعف العقوبات المقررة في قانون حقوق المؤلف والملكية الفكرية، مشيرا إلى أن المزور يحصل على الكتاب بدون التكلفة التي يتحملها الناشر الأصلي من حقوق مؤلف وإخراج وتنفيذ ومرتبات وضرائب، إضافة إلى أن المزور يحصل من المكتبات على سعر هذه النسخ في الحال ولا ينتظر بيع النسخ مثل ما يحدث معنا.

وطالب خضر بتغليظ العقوبة لتكون رادعة للمزور والمطبعة قائلا: "لازم القانون يبقى قوي والعقوبات مغلظة، يعني لو انت صادرت المطبعة المزور هيفكر ألف مرة قبل ما يعمل كده".

اتحاد الناشرين العرب وقصة تزوير الكتب:

محمد رشاد صاحب الدار المصرية اللبنانية ورئيس اتحاد الناشرين العرب قال إن انتشار الكتاب المزور كان من ضمن أسباب إعادة إحياء الاتحاد عام 1995 وقد كان أحد المؤسسين مع المهندس ابراهيم المعلم والأستاذ عدنان سالم من سوريا وسميرة عاصي من لبنان وآخرين، حيث ذهب وفد إلى لبنان على أساس وضع حد لهذه الظاهرة ثم تطرق الأمر للحديث عن اتحاد يستطيع أن ينظم المهنة فتم إحياء هذا الاتحاد الذي أنشئ بقرار من الجامعة العربية وصياغة القانون الأساسي له.

رشاد أوضح أن بؤرة التزوير في العالم العربي كانت في لبنان في المرتبة الأولى ثم الأردن ثم في السنوات الأخيرة، وخاصة بعد أحداث يناير تفحشت وتضخمت في مصر في ظل الفوضى والظروف الأمنية، لافتا إلى أن هؤلاء المزورين عبارة عن عصابات مثل عصابات المخدرات وأنهم لصوص يتابعون حركة السوق وحين يجدون كتابا عليه طلب من القراء يأخذونه إلى المطابع والتي تتواجد في دار السلام والعمرانية وهما أكثر منطقتين تضمان مطابع "بير السلم".

وقال رشاد إن المشكلة في بعض مكتبات سور الأزبكية أنه فقد الميزة الأساسية له والتي تربينا عليها وهي حفظ ذاكرة مصر وبيع الكتب القديمة، مشيرا إلى هجوم بعض المثقفين والكتاب عليه حين تحدث عن دور تلك المكتبات في السور في تزوير الكتاب، مضيفا أنه طالب حين كان رئيسا لاتحاد الناشرين المصريين بمنع مشاركتهم في معرض القاهرة الدولي للكتاب لأنهم يسيئون ليس للناشر المصري فقط لكن للناشر العربي والأجنبي، معربا عن أسفه من بعض المثقفين الذين يشترون الكتاب المزور وهم سعداء بسعره الزهيد، غافلين عن أن ذلك يؤدي لقتل الإبداع والفكر لأن الكاتب سيتوقف عن الكتابة.

رشاد لفت الانتباه إلى أن الخطورة الأكبر من تزوير الكتاب الأجنبي أن المؤلف الأجنبي لا يترك حقه ولو علم بوجود كتابه مزورا في مصر سيتوجه لحكومته التي تفرض عقوبات بدورها من خلال المنظمات الدولية التي تعطي منحا لهذه الدول، فمن الممكن أن تمنع

هـذه المنح كما حدث في الصين عندما اعتدوا على برامج الكمبيوتر، وكمـا حدث في كوريا أيضا، مندهشـا من هجـوم المثقفين عليه حين حصـل على فتـوى مـن دار الإفتاء تجـرم تزويـر الكتب قائليـن له أنه يدخل الدين في الثقافة!

رشـاد قـال إن التزويـر أحـد الأسـباب الرئيسـية في تدنـي صناعة النشـر، فالناشـر إذا طبـع ألف نسـخة أو ألفيـن، فإن المـزور يطبع 10 آلاف نسخة، مضيفا أنه قدم تعديلا لقانون حقوق الملكية الفكرية رقم 82 لسـنة 2002 للعدالـة الانتقالية طالب فيه بتغليـظ العقوبة، موضحا أنهم بالفعل درسوه ثم حولوه لاتحاد الناشرين المصريين لتقديمه إلى مجلس النواب.

رشـاد أشـار إلى أن المزورين أشـبه بالعصابات المنظمـة وأنه في حالة مداهمة مطابعهم يكتشف أن لديهم علما مسبقا بالمداهمة، لافتا إلـى أن الكتـاب لم يعـد يباع في مصر فقـط بل يصدر للخـارج أيضا، مشـيرا إلـى أن واحدة من دور النشـر صدرت 6 كونتنـرات من الكتب المـزورة إلـى معـرض المغرب فـي واحدة مـن دوراتـه، مضيفًا أيضا أنـه حين طالب بمنع دور النشـر غير الأعضاء في اتحاد الناشـرين من المشـاركة فـي معارض الكتـاب هاجمـه المثقفون، رافضين لمسـألة الإلزام بالانضمام للاتحاد طالما تحمل المنشـأة سجلا تجاريا وبطاقة ضريبيـة قائلا في الرد على هذا القول: "ياسـيدي بتنظـم المهنة، يعني إنـت إزاي هتعـرف إن واحـد ملتـزم والتاني غيـر ملتـزم؟ على الأقل

يحمي الملكية الفكرية وحقوق المؤلف". مضيفا أنه فترة رئاسته لاتحاد الناشرين المصريين قدم إلى الحكومة مشروع تحويل اتحاد الناشرين إلى نقابة، وأن المشروع في الاتحاد الآن ولا يعلم هل قدم إلى مجلس النواب أم لا.

وعن دور اتحاد الناشرين في مواجهة التزوير قال رشاد إنه منع أثناء فترة رئاسته للاتحاد المصري 3 ناشرين مصريين من المشاركة في معرض أبو ظبي وإلى الآن لا يشاركون.

رشاد تعجب من حجة بعض القراء من يشترون الكتاب المزور بأن غلاء الكتاب الأصلي هو السبب قائلا: "هو الكتاب غالي تقوم تسرقني؟ دا مش منطق"، مضيفا أن من يتضرر من ارتفاع سعر الكتب عليه أن يذهب إلى المكتبات العامة، مطالبا المثقفين بمطالبة الدولة بزيادة عدد المكتبات العامة وتزويد مكتبات المدارس من الإصدارات الجديدة، مشيرا إلى أن الدولة توقفت عن تزويد المكتبات منذ خمس سنوات تقريبا.

* * *

أحمد خالد توفيق:

جعل الشباب يقرؤون!

أمام مستشفى الدمرداش في ميدان العباسية، قال موظف الأمن، وهو يشدّد على مخارج الحروف: "مش هنا"، قالها بغضب وانصرف، بعد أن أكد أنني لستُ الأول، وأن هناك خمسة عشر شابًا سبقوني إلى السؤال عن تواجد جثمان الدكتور أحمد خالد توفيق في المستشفى من عدمه، قبل ذلك التوقيت بساعة، كتب صديق مقرب للروائي أحمد خالد، على فيس بوك، أن العراب قد مات، وأن جثمانه في مستشفى الدمرداش، وكانت كلماته إيذانًا بتحرك قراء الراحل، دون تنسيق مسبق، وبشكل عشوائي، إلى المستشفى، لإلقاء نظرة الوداع الأخيرة.

تركتُ المكان ورحلت سريعًا للبحث في مستشفى آخر، بمحيط المكان، على الباب وجدت الروائي أحمد مراد يبحث هو أيضًا، في سيارته أكملنا الرحلة معًا، حتى عثرنا على الراحل في مستشفى عين شمس التخصصي، عندما وصلتُ إلى ثلاجة الموتى، وجدتُ شابًا يفترش الأرض في هدوء شديد، ليس بكاتب أو صحفي، وليس من أقاربه، اقترب مني قائلًا: "أنا من قرّاء دكتور أحمد، ما تعرفش هيدفنوه إمتى؟"، دقائق قليلة وتوافد قراء الراحل، جميعهم كانوا يبحثون

مثلنـا، عن جثمان الكاتب الذي صاحبهم أطفـالًا، وقدم لهم جرعات من المتعة بين دفتي سلسـلة "مـا وراء الطبيعة"، مجموعة أدب الرعب الأشـهر في مصـر والوطن العربـي، التي قدم الراحل نسـختها الأولى عـام 1992، يحكـي أنه عندما حضر من مدينته طنطـا إلى القاهرة بحثًا عن نشـر كتابـه الأول، وتوجهه إلى لجنـة القراءة بدار النشـر، رفضوه بالإجمـاع، تحطم الحلم للحظات أمام الطبيب الشـاب، لكن الرفض لـم يثنِـه عن رغبته فعاد مرة أخرى، هنـا أدرك أحد أعضاء لجنة القراءة أن ذلك الشـاب يقـدم صنفًا أدبيًا غير معهود، وأنه يسـتحق أن يفتح له الباب، وقد كان.

وبعد سـتة أعوام مـن الرحلة مع أدب الرعب، دشـن مجموعة من الشباب في مصر وبيروت وفلسطين موقعًا على شبكة الإنترنت بعنوان "منتدى روايات"، اجتمع فيه محبو الراحل في كل الوطن العربي، بعد شـهور اكتظ الموقع بالأعضاء والزوار، وبعد أعوام أصبح أكبر ورشـة للكتابة على مواقع الإنترنت، دون قصد من أحد، فالجميع يكتب على المنتـدى، القصص، والأشـعار، وفصول الروايات، التي استنسـخت فـي أغلبها تجربـة العراب، أحمد خالـد توفيق، وبعد أعـوام من ذلك التدريب غير المقصود، تحولـت كتابات الإنترنت إلى كتب مطبوعة، وباعت تلك الكتب آلاف النسـخ، ليستيقظ سـوق النشر في مصر عام 2012 علـى حقيقـة أن هناك قـراء، وأن مقولة "6 دقائق متوسـط قراءة العربـي في السـنة"، في حاجـة إلى مراجعـة، في ذلك العـام تحديدًا، ارتفـع عدد دور النشـر المسـجلة في اتحـاد الناشـرين المصريين؛ من

260 ناشـرًا إلى 700 ناشـر، وجاوزت مبيعات الروائي الشـاب أحمد مـراد 100 ألـف نسـخة، وعـام 2018؛ وصلـت مبيعات روايـة "الفيل الأزرق" لمراد مليون نسخة، بحسب مصادر من داخل دار الشروق.

سـيل مـن الأرقـام والبيانـات يراودنـي، وأنـا أتجـول فـي أروقـة المستشـفى، أبحث عـن أية معلومة عـن موعد جنـازة الراحل، ومتى سينتقل جثمانه من القاهرة إلى مسقط رأسه في مدينته طنطا، في الممر رأيت الروائي الشـاب أحمد العايـدي، وتامر إبراهيم، همـا أيضًا كانا مـن أبنـاء تلك المنتديـات، قد أصبحـا الآن من الكتاب الأكثـر مبيعًا، العايدي عندما صدرت روايته الأولى "أن تكون عباس العبد"، حققت آلاف النسخ مبيعًا في شهور قليلة، لم يتخيل محررو الثقافة والنقاد في مصـر أن رواية لكاتـب لا يعرفونه باعت آلاف النسـخ، يقولون: كيف ذلك والشـباب لا يقرؤون، وتقرير التنمية البشـرية الصادر عن منظمة اليونسكو في العام نفسه أكد أن العرب لا يقرؤون؟!

فـي الطريق إلى طنطـا، صباح الثالث من إبريل، لـم يتوقف هاتفي عن الرنين، الجميع يسـأل، أين سـيصلّون على جثمان الراحل، مئات الشـباب اصطفـوا أمـام المسـجد، في مشـهد مهيب لم تشـهده جنازة كاتـب في القاهرة من قبل، وبعد الصلاة على الجثمان، أصر الشـباب أن يحملوا النعش سيرًا على الأقدام حتى المقابر، غير أن أسرة الراحل أكدت أن المسـافة تتجاوز بضعة كيلو مترات، النعش يجب أن يوضع في سيارة، أخـذوه مـن أيديهم بصعوبـة بالغة، قـراؤه شـبه منهارين، المسألة تجاوزت حد العلاقة بين قراءٍ وكاتب.

تلك العلاقة لم تستوعبها الصحافة الثقافية في القاهرة، ولم يستوعبها النقاد، فأخذ أغلبهم يكتب على صفحات فيس بوك وتويتر، متسائلين باستخفاف عن ذلك الكاتب أحمد، الذي لا يعرفونه، ولم يقرؤوا له من قبل، تساؤل إن بدا مستهزئًا من الوضع في ظاهره، فهو شديد الخطورة بالفعل، فالمشهد الثقافي الكلاسيكي في القاهرة يعجز عن رؤية آلاف القراء، الذين ظلوا يقرؤون بإخلاص لذلك الكاتب على مدار 25 عامًا، مشهد يوحي بأن هناك عالمين متوازيين يسيران جنبًا إلى جنب في القاهرة، لا يعرف أحدهما الآخر، العالم الأول هو عالم المثقف الرسمي، ابن التيار العام المسيطر على مشهد الأدب والكتابة في مصر، والذي يجب أن تحصل ككاتب على صك الاعتراف منه قبل أن تنطلق في عالم الكتابة والنشر، والعالم الآخر هو عالم موازٍ، تمرد على ذلك المشهد الكلاسيكي، وكان سبيل تمرده شبكات الإنترنت، التي لا يزال المثقف الكلاسيكي في مصر معترضًا عليها، يراها لهوًا ولعبًا، وغير ذات فائدة، حتى أن بعضهم كتب متحفظًا: كيف لكاتب ينشر أغلفة رواياته على فيس بوك محتفيًا بها؟! معتبرين أن ذلك تقليل من شأن وعظم المكتوب.

شيّع محبو خالد جثمانه إلى مثواه الأخير، وأبى قرّاؤه أن يرحلوا سريعًا، فظلوا يقرؤون الأدعية أمام قبره، وأخذ أغلبهم يكفكف الدمع جاهدًا، على الأب الذي رحل، ليس الكاتب فقط، وبعد أن أغلقوا عليه الباب، تركت إحدى قارئات الراحل ورقة صغيرة معلقة على قبره، كتبت عليها: "جعل الشباب يقرؤون".

جنازةٌ، النسبة الأكبر من حضورها قراء الراحل، الذين جاؤوا مشيعين من محافظات مصر المختلفة، وبعض الكتاب الشباب الأكثر مبيعًا في القاهرة، الذين أفقدهم الحدث توازنهم، فأخذ بعضهم يصرخ في المشيعين، وهو يفسح الطريق للنعش في رحلته الأخيرة إلى القبر.

* * *

ملحق

أحمد خالد توفيق

صديقي الروائي الشاب قابل طلبي بالسخرية حين أعلنت عن رغبتي في إجراء حوار مع أحمد خالد توفيق، برر ذلك أن الرجل انطوائي يعيش في محافظة بعيدة عن القاهرة، لا يستمد أحمد خالد توفيق شهرته من ظهوره في وسائل الإعلام، لأنه نادر الظهور لكن حضوره على الرغم من ذلك ممتد في العديد من تفاصيل الحياة اليومية فهو سواء شئت أم أبيت كاتب في صدارة المشهد، يستند إلى جوار تميز موهبته في السرد وارتياد مناطق غير مطروقة على جمهور كبير منحه شعبية شبيهة بطقوس التتويج، وعن طريق صديق مشترك تمكنت من الحصول على موعد، هي المرة الأولى التي أسافر فيها إلى طنطا، لذلك قررت الذهاب باكرا عن موعد الحوار بعشر ساعات، فور أن وضعت قدمي فيها وجدت معهد الأحمدي الأشهر الذي خرج منه رجالات الفكر في مصر على يميني، ومسجد سيدي أحمد البدوي على يساري، والمريدون يجولون في كل مكان، لكنني مريد في محراب رجل آخر، كان وما زال محط أنظار الجميع، بين

محب ومهاجم، وكانت الأسئلة تتسارع في ذهني، أريد من خلالها أن أجد ترجمة لعالم هذا الكاتب، الذي يراه البعض قديسا، ويراه آخرون سببا في انهيار ثقافة أجيال متعاقبة، بسبب كتب الجيب التي لم تعد تفارقهم، فإلى نص الحوار:

• هل كان في ذهن أحمد خالد توفيق حين توجه في أوائل التسعينيات إلى المؤسسة الحديثة بسلسلة ما وراء الطبيعة أن يكون خلفك جيل كامل من الكتاب والقراء يرون فيك العراب الذي فتح لهم الطريق؟

- طبعا لأ، أنا مجرد شخص حاول تقديم قصة مسلية لا تندم على ما أضعت من وقت في قراءتها، وكل هذه الألقاب التي يطلقونها أراها كبيرة، "أنا لما بسمع كلمة العراب دي بتخض"، وأقصى هدفي فيما أكتب هو أولا تسلية الناس مع إضافة قدر من المعلومات والقيمة الأدبية، وثانيا أسلي نفسي بما أكتب، أضف إلى ذلك أن من كانت تحركاته في الحياة قائمة على اعتقاده أنه نبراس الجيل والمعلم فاعلم أن مثل ذلك الشخص "عكاك" ولن يذهب لأي مكان.

• ظهورك كان في فترة توهج جيل التسعينيات وتمردهم على احتكار الأجيال السابقة للحركة الثقافية، لماذا لم تنضم لذلك الركب وفضلت كتب الجيب؟

- الفكرة أنه في ذلك الوقت لم تكن القراءة مثل الآن، فلم يكن أحد يقرأ في ذلك الحين إلا لنبيل فاروق، ووجدت أن مثل ذلك

الطريـق غير مطروق وواعد فقررت المضي فيه قدما، وأحب أن أطلق علـى هـذه الفترة "عصـر ما قبل عمـارة يعقوبيـان"، أمـا الآن فالقراءة أصبحـت نشـاطا شـبابيًا مهمًا بل وجـزءًا من مظهر الشـاب العصري، لكن في الفترة التي بدأت فيها الكتابة كان من يشـاهد وهو يحمل كتابًا ينظر له باسـتغراب "وياخد تريقة للصبح"، لأجل هذا أردت استخدام عنصرا جاذبا من خلال هذه النوعية من الكتابة وفي نفس الآن تمتعني أنا أيضا ككتابة.

• لماذا كتابة الرعب بالذات؟

- جاوبـت على ذلك السـؤال كثيـرا من قبل، الحكايـة أن الخوف كان يتملكنـي وأنا صغير ووجدت أنني حيـن ألجأ لكتابة الرعب أرى نفسي خلف المدفع وليس أمامه، ثم بعد ذلك وجدت أن ستيفن كينج قـال نفس الكلام حين قـال إن كتابة الرعب تحيطه بدائرة سـحرية هو وأسـرته فلا تقربهم الأخطار، فالمسـألة لها بعد نفسـي واضح، لكنني بدأت ككاتب قصة قصيرة ومتأثر جدا بتشيكوف وجوركي كما تأثرت في الرواية بديستويفسكي.

• البعـض وجه لك الشـكر لأنك كنت سـببا من وجهـة نظرهم في دفع جيل كامل من الشباب للقراءة، كيف ترى ذلك؟

- أرى أنني لا أسـتحق مثل ذلك الكلام، يظن البعض من أجوبتي أنـني متواضـع لكـن الحكاية ليسـت كذلـك، كل ما في المسـألة أنني أعرف حجمي بالضبط لا أكثر ولا أقل، ولو تحدثنا عن المسؤول عن

دفع جيل كامل للقراءة فالإجابة ستكون نبيل فاروق ومن قبله محمود سالم، فقط الذي أضفته أنني عندما توجهت لمثل ذلك النوع من الكتابة حاولت أن أزيد من المحتوى الأدبي في الكتابة.

• لكن نظرة سريعة على انتشار أدب الرعب من حيث مستوى الكتابة والقراءة تؤكد أن أحمد خالد توفيق بالفعل موجود؟

- أخبرتك سابقا "العرش دا مش بتاعي"، أما فيما يخص "هوجة الرعب التي ألقت بظلالها بقوة مؤخرا فلست معجبا بها، بل قل "منرفزاني"، سابقا كانت هناك فترة توجه كل الكتاب الشباب لكتابة الجاسوسية، وأيضا قلد كثيرون من رسامي الكاريكاتير أسلوب مصطفى حسين في الرسم، الآن نجد كل من أراد الكتابة يكتب الرعب، وهذه مسألة مبالغ فيها لكنها ليست ذنبي، وهل ذنب مصطفى حسين أو نبيل فاروق أن قلدهما آخرون ؟ إلى جانب ذلك فأنا لا أكف عن القول أن هناك أنواعا أخرى من الأدب، "أنا فعلا بدأت أزهق من الرعب من كتر إن الإنتاج كله بقى رعب".

• هل ترى أن هذا الجيل من كتاب الرعب قدم شيئا لهذا النوع من الكتابة؟

- لم أقرأ كل ما كتب في أدب الرعب، كما قلت أصبحت الكتب كثيرة جدا، مثلا في معرض الكتاب الأخير كان كل من أوقع له نسخة من كتابي يعطيني نسخة من كتابه حتى أصبح لدي كم هائل من الكتب وهي مسألة مرهقة فعليا قراءة كل هذا الكم. حتى أن أحدهم أرسل لي

معاتبا برسـالة يقول فيها: "أشكرك على اهتمامك وعدم قراءة عملي".
لم أعرف كيف أعتذر.

• هـل وجد أحمد خالـد توفيق فكرة لكاتب جديد تصلح أن تكون سلسلة كتابات جيب؟

- بالفعـل هنـاك فكـرة أعجبتنـي لكاتب شـاب واعد، وأظـن أنها تصلـح أن تكـون سلسـلة جيـدة وربما بدأنا في نشـرها مع المؤسسـة العربية الحديثة في معرض الكتاب القادم.

• إذن من الذين ترى أنهم بالفعل لهم بصمتهم في كتابة الرعب؟

- مـن الكتاب الذيـن أعجبت بكتاباتهم جدا الكاتبة سـالي عادل، وهـي بالفعل تقدم "شـغل عالي قوي" أيضا شـيرين هنائـي فهي تتميز أنها تسـعى لتنويع أفكارها في الكتابة، وبالطبع تامر إبراهيم، الذي من شـدة إعجابي به كان لى معه كتاب مشـترك وهو كتـاب "قوس قزح"، فتجـارب الكتابـة كثيرة جدا، لكنها فـي النهاية ينتجعنهـا كتابة حقيقية لا تتجاوز الـ 20٪.

• مـن يكتبـون أدب الخيال العلمي يملكـون إلى حد ما "تكنيك" فـي الكتابـة ويهتمون بالسـرد أكثر مـن كتاب الرعب، هل هـذه الرؤية صحيحة؟

- لا يمكننـي أن أجـزم بهـذه الرؤيـة، لكـن كتابـة الخيـال العلمي تستدعي من الكاتب نظرة عميقة للإنسـانية ونظرة لما حققه الإنسان،

لذلك فكاتب الخيال العلمي تكون رؤيته وثقافته أشمل من كاتب أدب الرعب، أما كتابة الرعب فتتباين. مثلا قرأت سلسلة لكاتب رعب يقول فيها "كنت واقف في البلكونة فنزل عليا خفاش خطفني". وأقصد هنا أنك من الممكن أن تكتب "رعب هايف" وممكن تكتب كتابة عميقة. أجاثا كريستي مثلا تكتب قصة بوليسية لكنها راقية جدا.

• النقاد يرون أن أدب الرعب نوع "هايف" من الكتابة، هل هناك مقاييس لدراسة أدب الرعب؟

- لا توجد مقاييس لدى النقاد بصدد هذا النوع من الكتابة، فهم لا يملكون مسطرة يقيسون عليها نوعية هذا النوع، مثلا قرأت مقالا لكاتب كبير يتحدث عن أدب الجاسوسية ولم يذكر اسم نبيل فاروق وهذا خلل فادح، وقرأت لآخر يتحدث عن الخيال العلمي وأدب نهاد شريف وأيضا لم يذكر نبيل فاروق وهذا خطأ جسيم، وبالطبع لن يتحدث أحد عن أدب الرعب. وتأكيدا على انعدام المقاييس من الممكن أن تقرأ مقالًا يهاجم كتاباتي وفي نفس الصفحة ستجد مقالًا آخر يقول أنها جيدة جدًا.

أيضا توجد لمسة تعال في دراسة أدب الرعب، فهناك من يهاجم حتى دون أن يقرأ، لكن لا أستطيع أن أدين أحدًا بالكلية لأن شكل القصص التي أصدرها يظهر عليها أنها خفيفة، ربما قريبا وجدنا مقاييس لدراسة ذلك الأدب في المرحلة القادمة خاصة حين نعلم أن هناك دراستين للماجستير عن كتب الجيب، ومع تعدد مثل هذه الدراسات ستتضح الرؤية أكثر.

مع الوضع في الاعتبار أن الرعب في النهاية نوع من الأدب له نفس مقاييس أي أدب آخر.

• هناك من يقول أن أحمد خالد توفيق ضيع جيلا بأكلمه بسبب كتب الجيب، كيف ترى ذلك؟

- لست مسؤولا عن شيء، وليس ذنبي أنني كنت جيدا، لكن لا أستطيع أن أقول إن كل ما أكتبه ينفع لكل فترات العمر، فأنا أكتب لشريحة عمرية معينة ثم بعد فترة ينتقلون لقراءة نوع آخر من الأدب، ومع ذلك فقد حاولت في كتاباتى أن أنتقل لشريحة أعلى في مستوى الكتابة، إلى جانب أنني دائما أسعى لفتح سكك جديدة للقراءة، حيث إنني أعتبر نفسي مثل مدرس الابتدائي الذي يظل مع تلاميذه ويوجههم لنوع الدراسة اللاحقة ولا يتركهم. قرائي يعرفون أنني لم أكف لحظة عن الكلام عن يوسف إدريس وطه حسين وتشيكوف وبرادبوري وجابرييل جارثيا ماركيز.. إلخ. ماذا أفعل أكثر من هذا؟

• لماذا "موت" رفعت إسماعيل؟

- موت رفعت اسماعيل عائد إلى أن الأفكار خلصت، نعم حزن القراء على وفاته لكنه لو ظل قليلا لهاجموه بقسوة، لقد اختفى رفعت في الوقت المناسب قبل أن ينقلب القراء عليه.

• هل هناك النية لعودة رفعت إسماعيل مرة أخرى؟

- رفعت إسماعيل مرحلة وانتهت لكن ربما ظهرت فكرة ما، حينها قد أعيده على شكل أننا وجدنا بعض مذكراته ونكتب من خلالها، لكن ذلك إن حدث فسيكون كتابا كل عامين مثلا. لا يعني عودة السلسلة.

• في تحقيق سابق نشر في جريدة القاهرة عن أدب الرعب حدث تراشق بالألفاظ بين كتاب الرعب وكتاب رافضين لهذا النوع من الكتابة، كيف ترد على ذلك؟

- ليس شرطا أن يكون الأدب كله رعب، "حتى اللعبة كده هبتقى مملة"، لكنني لا أعتبر نفسي مسؤولا وأكررها" ليس ذنبي أنني كنت جيدا"، لكنني أرى مثلا أنه لم يكتب أحدهم "خيال علمي" من فترة طويلة فلماذا؟ لا شك أن الرعب جنى على أنواع أخرى من الأدب.

• هناك بالفعل كتابات خيال علمي وتحقق مبيعات؟

- أقصد بكتابة الخيال العلمي هنا أن يسبر أحدهم أغوار الجو الإنساني لكتابة الخيال العلمي، ما يحدث الآن أسميه أوبرات فضائية، حيث الحديث عن غزو الفضاء وأشعة الليزر والمريخيين، لكنني أريد مستوى إنسانيا معينا في الكتابة حيث التعبير عن أزمة الإنسان، وذلك الجانب أراه في كتابة رؤوف وصفي. وهنا أقول لماذا لا يستكشف الكتاب ذلك النوع من الكتابة؟

• هل ترى أن هناك جرأة على كتابة الرواية؟

- بالطبع هناك جرأة على كتابة الرواية، صدرت لي رواية "يوتوبيا" وبعدها بثلاث سنوات صدرت رواية "السنجة"، يجب أن يعلم الشباب أن قرار صدور رواية مرعب، لكن أجد اليوم كاتبًا ينشر رواية 400 صفحة ربما تكون أول محاولة أدبية له. تنشر دون أن يقرأها الناشر ثم يدشن لها صفحة على الفيس بوك دون أن يقرأها أحد ثم يكتب عنها

أحد النقاد في الصحف دون أن يقرأها الناقد، حتى أصبحت المسألة ظاهرة.

• هناك ظاهرة أخرى وهي اتهام الكتاب بسرقة روايات غربية ولم يسلم أحمد خالد توفيق نفسه من هذا الاتهام، ما تفسيرك لذلك؟

- قالوا إن "نادي السيارات" مسروقة من "حفلة التيس" وأرى ذلك كلاما فارغا. وقالوا إن "يعقوبيان" مسروقة من "ميرامار"، وردي على ذلك "كده هنهرج"، وواضح جدا من كثرة الاتهامات أن ذلك تصيد أخطاء والسلام. لكن هناك أعمالا بالفعل مسروقة لا جدال. فقط يغير الكاتب الأسماء داخل العمل.

• لكن هناك حديثا على أنك تشتغل على أفكار أعجبتك في روايات أخرى وليس سرقة بالمعنى الحرفي؟

- هذه تهمة لا أنكرها، أن أجد فكرة فأشتغل عليها، فهناك تيمة من الممكن أن تستحوذ على إعجابي فأشتغل عليها، المهم أن تكون المعالجة خاصة بأحمد خالد توفيق، يوتوبيا مثلا خليط من تيمات خيال علمي متعددة مثل تيمة "ما بعدالمحرقة" و"المسابقات التلفزيونية ما بعد المستقبل" هل معنى ذلك أنها مسروقة؟ أما الحديث عن معالجة يوتوبيا فأتحداك أن تجد رواية تدور حول مستعمرة يخرج سكانها لاصطياد الفقراء ويضل اثنان منهما فيها، ولو فتحنا الباب لهذه التهمة فأي قصة فيها مصاص الدماء مسروقة من برام ستوكر أول من كتبها. أيضا اتهمت بسرقة فكرة من مسلسل أجنبي وعندما بحثت

في المسـألة وجدت أن تاريخ إنتاج المسلسـل لاحق على تاريخ بداية كتابتـي بخمس سـنوات، ثم إن هناك تناقضا في المسـألة، فكيف نتهم بسرقة أعمال هي في بلادها قوية ثم نتهم أيضا أن أعمالنا ضعيفة،"طب ما اللي هيسرق هيسرق العمل محكم مش مفكك".

• هل نفتقد للنقد البناء؟

- نحن نفتقد للنقد الموضوعي، سـواء كان بناءً أو هدامًا المهم أن يكون نقدا موضوعيا يسـتند على أدلة وبراهين. عند الناس النقد البناء هو الذي يمتدحك فقط وهذا خطأ.

• كاتب الرعب حسـن الجندي يسعى لأن تكون هناك رواية رعب نابعـة من الثقافة المحليـة بعيدا عن الزومبي والفمباير، لماذا لم يحاول أحمد خالد توفيق أن يصدر كتاب رعب نابعا من ثقافتنا؟

- رفضـت ذلك لأنني وجـدت مثلا أن الحديث عن الجن سـوف يفسـر تفسـيرات أخرى، ففي روايـة جونتنامو للكاتب يوسـف زيدان حكـى أحد شـخوص العمل داخـل الزنزانة أنه رأى جنيـا، فرد عليهم أحد المساجين نافيا مسألة ظهور الجن في الزنزانة، فوجدهم في خطبة الجمعة يتحدثون عن أن منكر الجن يستتاب وإن لم يتب قطعت رقبته وبدأ الجميع في السجن يتجنبونه لأنه أنكر وجود الجن، بينما هو أنكر وجـوده في الزنزانة. فلم أرد أن أصطدم بذلك الجانب، أما الكلام عن الزومبي والفمباير فهي ثقافة أخرى والتجوال بداخلها أكثر أريحية.

• لماذا لم تأخذ قرار أن تعيش في القاهرة؟

- الفكرة أن القاهرة صاخبة وكبيرة جدا، لكن في طنطا فلست في حاجة إلا لربع ساعة كي أصل إلى أي مكان أريده، أضف لذلك أن الاجتماعيات في القاهرة "هتخنقك"، الكاتب رجاء النقاش له مقولة أنه كلما حضر إلى المقهى وجد الأدباء يجلسون فيتساءل إذن متى يكتبون بل والأهم متى يقرؤون، أنا مقتنع بهذه العبارة، فالقاهرة نعم ستقربني من الفرص لكنها ستزيد ضغطي العصبي أيضا وتقلل من فرص إنتاجي.

• قديما قالوا أن أي مثقف كي ينجح يجب أن يحضر إلى القاهرة، هل ما زالت هذه الفكرة قائمة؟

- لا يزال الموضوع كما هو، فقط أنا كنت محظوظا حين وجدت ثغرة أمر منها، لكن لن ينجح كاتب إلا في القاهرة، ففى قصر الثقافة "قاعدين يقروا أعمال بعض، ويعملوا معارض لبعض". تخيل أن أمل دنقل لم يترك الصعيد ويتجه إلى القاهرة، هل كان سيعرفه أحد؟

• لكن ما حدث بعد ثورة يناير من نجاح أدباء خارج القاهرة يخالف ذلك.

- هؤلاء استثناء يؤكد القاعدة، ستجد في كل محافظة كاتبا واحدا تمكن من المرور، لكنك طالما كنت بعيدا عن "قهاوي وسط البلد" والحديقة الخلفية لأتيليه القاهرة فاعلم أن فرصك قليلة.

ففي بداياتي كتبت القصة القصيرة وكان صديقي د.رائف وصفي يعمل في مجلة صباح الخير، فأرسلت له قصة جيدة ليعرضها على رئيس التحرير، وحين عرضها عليه، قال له رئيس التحرير، أريد منك أن تقرأها في ثلاث دقائق، وعندما بدأ وصفي القراءة أمسك الرجل هاتفه وبدأ في محادثة آخر، وكلما هم وصفي أن يتوقف حتى ينتهي رئيس تحرير المجلة من مكالمته طالبه بالاستمرار، ثم بعد أن انتهى قال له الرجل "مش حلو". سيناريو التعالي دائم التكرار، يكفي أن يعرف أحدهم أن فلانا من طنطا أو من محافظة أخرى حتى يقول إنها محافظات ليست على الخريطة. وأقصى ما يمكن الوصول إليه هو أن يصدر لك كتاب عن هيئة قصور الثقافة ليجد طريقه إلى المخازن ولا يسمع عنه أحد.

هناك مثلا من الأقصر كاتب مذهل أعتقد أنه ديستويفسكي مصر بل أحسن كاتب ظهر في آخر عشرين عاما، وقد صدرت كل مجاميعه القصصية عن الهيئة العامة لقصور الثقافة لكن رغم ذلك فقد حصلت على مجد أكثر منه، إنه الكاتب أشرف الخمايسي الذي حين قرأت رائعته "منافي الرب" لم أصدق نفسي، وقلت: "الكتاب دا جاله من الفضاء الخارجي"، فهو مظلوم لأنه ليس من القاهرة، مواهب مذهلة مثل إبراهيم عبد المجيد وحمدي أبو جليل لو ظلوا في محافظاتهم لما عرفهم أحد، وأظن أن د.يوسف زيدان بدأ التوجه إلى القاهرة هو أيضا.

• قدمت شبابا لم يحققوا نجاحا وكانت أعمالهم ضعيفة، لكن تقديمك أعطاهم دفعة للأمام وجذب لهم الانتباه، هل كانت مسألة مجاملات؟

- أنا معجب بكتابة سالي عادل وكتابة ميشيل حنا وتامر إبراهيم لكن فيه كتب أخرى "كانت تدبيس" وكان هناك قدر من المجاملات، لذلك لم أقدم كتبا في آخر خمس سنوات وأعتذر لكل من يطلب مني تقديم كتابه. خاصة أن الأذواق تتباين.

على جانب آخر هناك شباب أخذوا أجزاء من محاورات بيننا على الفيس بوك ووضعوها على أغلفة كتبهم وهي محاورات شخصية. في إحدى المرات مثلا أثناء مناقشة مع كاتب شاب كتبت له في منتدى ثقافي أنه يعرف ما يقوله. بعد فترة نشر ذلك الشاب كتابا فيه أفكارا أختلف معها جذريًا ووضع في بدايته هذه الكلمة، وكتبت بعد ذلك أن ذلك رأي في نقاش وليس رأيا في كتاب، وأن ذلك لا يعطيه صك أن يقوله في أي مكان.

* * *

أحمد مراد

الكاتب الأكثر إثارة للجدل، هو التوصيف الأنسب للروائي المصري أحمد مراد، بداية من روايته الأولى "فيرتيجو"، مرورًا بروايتيه الأشهر، "تراب الماس"، و"الفيل الأزرق"، وهي روايات تدور في فلك الجريمة والكتابة البوليسية، ثم روايتي "1919"، و"أرض الإله"، التاريخيتين؛ حيث تدور الأولى حول أيام ثورة 19، والثانية تحكي عن رحلة خروج اليهود من مصر القديمة، وأخيرًا، روايته الأحدث، "موسم صيد الغزلان"، والتي كتب عنها قراء، على موقع القراءة الأشهر، "جود ريدز"، بأنها رواية تدعو للإلحاد؛ لمجرد أن بطل الرواية عالم ملحد.

الرواية التي تدور أحداثها في المستقبل، تحكي عن أب فقد طفلته في حادث إرهابي تبنّاه تنظيم "دافا"، دولة الإسلام في ألمانيا وفرنسا، وكان نتيجة مقتل طفلته تسربت شكوك إلى عقله في حقيقة وجود الله، ليبدأ الصراع بين العالم الملحد، وبطل آخر داخل الرواية، يحاول إقصاءه عن تلك الفكرة، وفي أثناء ذلك يستعرض الراوي رؤيته لمستقبل العالم، الذي سيطر عليه تطرف الجماعات الدينية، التي بدأت بتنظيم داعش، ثم انتقالها إلى أوروبا عن طريق تنظيم

د ف. و تنتشر الإلحاد بين البشر، نتيجة هروبهم من صورة الدين التي صدّرها المتطرفون.

ورغم تجاهل تام من المشهد النقدي والصحفي المصري لما يقدمه مراد. فقد نافست روايته "الفيل الأزرق" ضمن القائمة القصيرة لجائزة العالمية للرواية العربية "بوكر"، وحصل منذ أسابيع على جائزة الدولة للتفوق، وهي واحدة من الجوائز الأدبية الأهم في القاهرة. والتي يمنحها المجلس الأعلى للثقافة في مصر، بعد أن تم ترشيحه لجائزة من قبل أكاديمية الفنون؛ المؤسسة الفنية والنقدية العريقة في القاهرة.

أجريت حوارًا مع الكاتب والروائي الشاب أحمد مراد، في محاولة لقراءة تجربته الأدبية، وإلى نص الحوار:

• رغم حصولك على واحدة من أرفع الجوائز الأدبية في مصر، بعد ترشيحك لها من قبل أكاديمية الفنون، لا يزال البعض ينظر إلى نوعية ما تقدمه على أنها كتابات "بيست سيلر" لا علاقة لها بالأدب، كيف ترى ذلك؟

- التفكير العبثي في منطقة "البيست سيلر" على أنه أدب "سيئ أو جيد" يجب أن ينتهي، وعمومًا فظهور أي شيء مختلف دائمًا ما يقابله رد فعل سلبي من الاتجاه القديم، ولا أدعي هنا أنني أمثل الاتجاه الجديد، فقط أشير لمسألة الضدية بين القديم والجديد، أتذكر حديثي مع أحد آباء الأدب الكبار في مصر، عندما قال إنه لا يرى ما أكتبه

أدبًا إطلاقًا، مشيرًا إلى أن ما يقدمه ليس مما يعرفه وتعلمه على يد نجيب محفوظ، مستطردًا: "لكن ذلك ما قاله أيضًا طه حسين عندما ظهر نجيب محفوظ، ذلك ليس أدبًا".

ولا أقصد هنا المقارنة، لكن أردت التدليل على أن الاتجاه الجديد دائمًا يحارب بشكل ما. بالطبع الحصول على جائزة التفوق مسألة أفخر بها بشدة، فهي اعتراف رسمي من وطني الذي تربيت فيه، ويقف خلفها العديد من المثقفين المكرسين، والتفاتهم لنوع جديد من المرشحين لهذه الجائزة هو تغير جذري كامل في فكر المشهد الثقافي المصري العام.

في النهاية أقول إنني لا أستطيع وصف "البيست سيلر" بالأدب الجيد أو السيئ، فقط هو نوع جديد ومفيد من التسويق للكتب كسلعة، مثل الفيلم والموسيقى، وهذا يعطي مؤلف الكتاب الشعبية والتواجد بشكل أكبر.

بالضبط كما يحدث في الجوائز، عندما يتم اتهام جائزة بوجود شبهة محاباة أو مجاملة، أيضًا يتهم "البيست سيلر" بذلك، فقد يتهم الناشر بأنه اشترى وجود إصداراته بقوائم الأعلى مبيعًا في المكتبات، نحن لا نخوض في الاتهامات، لكن في النهاية، الأصل في المسألة أن التواجد في قائمة "البيست سيلر" بطرق غير مشروعة لن يستمر طويلًا، فاستمرارية الكتاب لفترة طويلة في قائمة الأعلى مبيعًا عائد لحب القارئ لذلك العمل.

• وجه المشتغلون بالثقافة في القاهرة انتقادات شديدة إلى لجنة تحكيم جائزة الدولة للتفوق نتيجة حصولك عليها، وامتلأت صفحات "السوشيال ميديا" بكتابات العديد من النقاد والأدباء ومحرري الثقافة الرافضين لحصولك على الجائزة؟

- لا أملك صفحة "فيس بوك" شخصية، لكن قرأت جميع المقالات النقدية التي تناولت خبر حصولي على جائزة التفوق، واهتمامي بقراءتها؛ لأنه ربما كانت هناك مسائل غائبة عني، ومن المفترض معرفتها، وفي النهاية، تعودت دائمًا على النظر أمامي، عندما أقود السيارة لا أنظر بجانبي، فقط أنظر للأمام، وعدم الالتفات هنا لأي مؤثر خارجي ليس تعاليًا، ولكن القصد هنا، أن أي فكرة هدامة ستجعلني أشك في نفسي، أو في مشروعي، دائمًا ما أضعها جانبًا، حتى أستطيع استكمال طريقي بشكل سليم.

أضف إلى ذلك سؤالًا مهمًا: ما الذي يبقى في النهاية؟ عندما تنظر اليوم لمشروع كاتب من أعلامنا الكبار الراحلين، ماذا تجد؟ تجد أعمالهم راسخة، تجد التحليل الحقيقي المكتوب بنقد حقيقي يحتوي دراسة فعلية، وكل ما تم توجيهه إليهم في حينها من سُباب لن تراه الآن، ربما يتم تناقله عنهم من باب الإشاعات التي دارت حولهم، ففي الوقت الذي ينشغل فيه أحدهم بكتابة مقال عني، وكيف أنني أستحق الجائزة من عدمه، أفكر في الرواية الجديدة، وفي سيناريو الفيلم الجديد.

• تواجدت بروايتك الأشـهر "الفيل الأزرق" في القائمة القصيرة للجائـزة العالمية للرواية العربية "بوكـر"، وحصلت على جائزة البحر الأبيض المتوسـط للثقافة عن رواية "فيرتيجـو"، وفزت بجائزة الدولة للتفـوق عن مجمل مشـروعك الأدبي، ورغـم ذلك لم نرَ دراسـة نقدية إيجابيـة واحـدة تناولت أدب أحمـد مراد بعد 6 روايـات قدمتها خلال رحلتك، وثلاثة سـيناريوهات للسينما، وعمل تلفزيوني، فكيف تفسر ذلك؟

- الموضـوع ببسـاطة أننـي أرى أن دور الناقـد حـدث فيـه خلل، فهو نفسـه أخـل بمعاييره في فهم الأعمـال. بداية، ما هـو دور الناقد؟ الناقـد هـو راصد للحياة الأدبيـة في صعودها وهبوطهـا، وبما يحدث فيها، والمقارنات الموجـودة، ويؤرخ لما هو موجود، بالتالي كقارئ، عندما أقرأ تلك الدراسـة، أسـتطيع فهـم تركيبة أي كاتب فـي الكتابة، وليس هدف الناقد أبدًا لا التراشـق، ولا تزايد عـدد (اللايكات) على "فيس بـوك" لمقالاته، لكننـي أرى حالة من التوحـش والنهش التي حدثـت ما بيـن "السوشـيال ميديا" والصحافـة الإلكترونية فـي الفترة الأخيرة، سـاهمت في خـروج الناقد بعيدًا عن إطـاره المفروض، من البحث الجيد، والتحليل الجيد، دفعه للبحث عن "اللايكات" الأكثر، والبحث عن هجوم أكثر على مقالاته؛ حتى يُقرأ بشكل أكبر.

أيضًا سـعى بعضهم لجعل نفسـه قبلة يجب أن يمر عليها الكتّاب؛ لجنة شـرطية، وإلا "يهبش"، فتصبح حوله حالة من الرهبة، ويبدأ جزء

مـن الكتّاب في الابتعاد عنه وتجنب غضبته، وجزء آخر يحارب الناقد ويدخل معه في تراشق واتهامات، وفي الحالتين، الناقد مستفيد بشعبية على المنصات الإلكترونية.

يتشـابه في تلـك الحالة أيضًا مـا حدث في الصحافـة، فالنقد ليس صحافـة، فما حـدث أن الناقد دخل إلى منطقـة الصحافة وأصبح مثل "بعض الصحفيين" المطالبين بصنع حالة من الجدل طول الوقت، فهو لـم يعـد مهتمًا بتقديم مقال متزن، لكنه يبحث عـن مقال له عنوان مثير يصنع لغطًا ويجذب الكاتب للدفاع عن نفسه.

• لم تسـلم مـن الهجوم في جميع رواياتك التـي أنتجتها، واتهمت دائمًا بسـرقة أفكارها من دراما أجنبية، بداية من "الفيل الأزرق" مرورًا بـ"أرض الإله"، وأخيرًا "موسـم صيد الغزلان". وفي كل مرة لم يقدم أحد ممن اتهموك دليلًا يثبت ذلك، ولم يقاضك أحد؟

- عندما اتهمت بسرقة رواية "الفيل الأزرق"، التزمت الصمت مدة أسبوع، فضّلت أن أشاهد من بعيد لأرى ما الذي سيحدث، حتى بدأت فـي قراءة ما يكتـب على "فيس بوك"، لأجد رسـائل مـن عينة "صباح الخيـر يا حرامي"، "صباح الخير يابـن الكذا"، "كنـا فاكرينك محترم وطلعت مـش محترم.. اتخدعنا فيك". ثـم انتابتني حالة من الضحك لسبب، أنني ذكرت في الرواية مصدرها من كتاب الجبرتي، والجبرتي طبعًا موجود من قبل الفيلم الأجنبي. وأصدرت بيانًا وضّحت فيه ذلك، فرد الشخص الذي شتم قائلًا: "أهو رد أهو، ودا دليل إنه سرق"، حينها

شعرت أن متابعتي لذلك ابتذال، فجزء من طبيعة البشر هي تمسكهم بالإشاعات ورفضهم التفسير المنطقي للأشياء، لأنه يبدو أقل بريقًا، فنحن نبطئ السيارات أمام مشهد حادث مميت، ولا نكترث لشاب اخترع جهازًا لتنقية مياه البحر بسعر رمزي!

عندما حدثت أزمة "الفيل الأزرق" قبل تقديم الفيلم في دور السينما بشهر، وكتب صحفي أنني سارق للعمل، حاولت دراسة أبعاد موقفه، فوجدت أنه سعيد جدًا بتلك الحالة التي أحدثها، إلى جانب ذلك، فهناك ما يسمى في الدراما بالتيمة، ومن يكتب يجب أن يعرف أولًا ما معنى تيمة، وتناص، ونقل، واقتباس، أو مجرد نسخ عمل من عمل آخر، كل ما أريده فقط ممن يتحدث أن يتبع منهجًا علميًا، ويقوم برفع قضية على أحمد مراد، ونقارن في المحكمة بين النصين، وذلك ما قمت به بالفعل في تلك الأزمة، عندما خرجت إحدى الجرائد المصرية وكتبت في مساحة نصف صفحة، "أحمد مراد حرامي". كان هناك سب وقذف علني في نصف صفحة، على إثر ذلك وجهت لهم إنذارًا قضائيًا، فتراجعوا عن المقال، ونشروا اعتذارًا على مساحة أقل بكثير جدًا من المساحة التي خصصوها للسب والقذف، والإنذار الذي وجهته هنا كان بسبب خوفي من تعرض شركة الإنتاج التي تقدم أفلامًا من تأليفي لأي ضغط، لأوضح لهم أنني أثق في كتابتي، فدائمًا عندما أبدأ في تجربة كتابة جديدة أشاهد جميع ما كتب وقد يكون على مقربة منها حتى أكتب شيئًا مختلفًا.

• حققتَ تواجدًا كبيرًا بين القراء، ورواياتك هي الأكثر مبيعًا في مصر لسنوات، وفيلمك الأول في السينما حقق أرباحًا ضخمة، لكن، هل تشعر أنك حصلت على ما تستحقه ككاتب، على المستوى النقدي؟

- من أفضل الجوائز التي حصلت عليها كانت مناقشة تليفونية مع الأستاذ مصطفى بيومي، بعد أن أنجز مؤخرًا كتابًا عن حركة الأدب في مصر وقال: "بدأت الكتاب بنجيب محفوظ وأنهيته بك"، عندما يتم تناول كتاباتي من شخصية بحجم مصطفى بيومي، فتلك جائزة، كذلك تناول كتابتي الكاتب والناقد أ. محمود عبد الشكور في كتابه "أقنعة السرد" رواية 1919 بالتحليل والنقد، وغيرهم من الأسماء التي تعد على أصابع اليدين، باختصار، أنا لا أنتظر حقًا من أحد، فحقي أحصل عليه بالفعل من قارئ لرواياتي، أو مشاهد لأفلامي، فالاعتراف من جهة ما ليس بذي أهمية كبيرة لدي، هي مجرد ورقة أحترمها، إن جاءت سوف تسبب سعادة، فالدولة عندما تعترف من خلال جائزة التفوق أن مسيرتي الأدبية خلال تلك السنوات قدمت فيها عملًا جعلني متفوقًا في ذلك المجال، وأنني ساهمت في وضع لبنة في جدار الثقافة للقارئ قبل المتخصص، فأنا في قمة السعادة، وذلك بمثابة تاج على رأسي.

• لماذا لا نضع في الاعتبار أن النقاد ربما كانوا على حق، وأن ما يقدمه مراد ليس أدبًا؟

- سوف نعرف بعد سنين طويلة. عمومًا أنا أحترم كل من وجه نقدًا لما كتبت، سواء بالسلب أو بالإيجاب، لكن غدا سيأتي جيل بعد رحيلنا جميعًا، ويقول هل كان ذلك الكاتب يقدم أدبًا جيدًا، أم أنها كتابات غير جيدة، وأن المحيطين به قدروه بشكل خاطئ، وبالنسبة لي فأنا متقبل ذلك، لأنني أولًا لن أكون موجودًا، وثانيًا فأنا غير مهتم.

• كيف تستطيع أن تكتب، وتستمر في الكتابة، حتى وصلت إلى الرواية السادسة، وسط تحفظ نقدي على ما تنشره؟

- أهتم عادة بالنقد المفيد، لكن من يكتب لأنه يريد أن "يشتمني" أقرأ مقالاته لأعرف حدود الكراهية وإلى أين وصلت. في البداية كانت المسألة تسبب لى ألمًا نفسيًا، خاصة عندما يكون النقد شخصيًا ويبتعد عن النص، وبالتالي يصبح مجرد تجريح، فهناك اتهامات بأنني دخيل على عالم الأدب، وأن ما أكتبه نص شعبي، وهدف كتابتي كثرة المبيعات، وكأن "البيست سيلر" من اختراعي. لا شك أنني سعيد لبدايتي في دار ميريت، وهي مختبر مهم للأدب الجديد في مصر، فهي دار يعلم الجميع حسها الطليعي الذي يفرز الأدب ويستكشفه بشكل جيد وجريء، ثم انتقلت إلى دار الشروق المعروفة بتاريخها الأدبي العريق، ثم حصلت على جوائز دولية ومحلية، بالإضافة لحب القراء وتفاعلهم، تلك كلها تعد مراحل من الفرز والغربلة التي أجدها مفيدة لرؤية وتصحيح اتجاهي الأدبي طول الطريق.

• لكن ليس كل ما يكتب يعبر عن الكره؟

- بالطبع لا، فالنقد الذي أستفيد منه مادة مشبعة جدًا كي أتحرك للأمام، وهناك أدباء أستفيد من تجاربهم، أنظر إلى ما يعجبني عندهم، وأسأل، لماذا لم أفعل مثله، فأنا لا أدعي أن ما أقدمه أفضل شيء، لكن في النهاية يجب التفرقة بين النقد البناء والهدام.

• لجأت في "أرض الإله" للتعامل مع منطقة تاريخية ملتبسة وأنت كاتب معروف، في حين أن أغلب من يتناولون هذه المناطق هم كتاب من الظل يفعلون ذلك بغرض الإثارة ولفت الأنظار إليهم، لكن في حالة كاتب ناجح ومتحقق مثلك تبدو المغامرة أكبر؟

- هناك أسباب دفعتني لخوض هذه المغامرة، فقد لاحظت أن هناك ازدراءً شديدًا لتاريخنا، نتعلمه في مدارسنا فقط لوضعه في أوراق الامتحان، كما أن أبناءنا على جهل بتاريخنا، على سبيل المثال: أحضر طفلًا ألمانيًا واسأله من أحمس؟ سيحكي لك تاريخك بالكامل، كتب المصريات أغلبها كتبها ألمان وإنجليز، والأغرب من بين هذه الاتهامات أن يقال لك أنت تحاول برواياتك تنقية تاريخ مصر القديمة من الوثنيات! وكأن هؤلاء صعب عليهم أن يكتشفوا أن لهم تاريخًا عريقًا أسهم في تقدم حضارات العالم. هنري بريستد عندما سطّر كتابه "فجر الضمير" قال إننا أسسنا أهم اختراع في العالم: "حقوق الإنسان".

• هناك شعور عام بأن رواية "1919" تم استقبالها بطريقة مختلفة عن الروايات السابقة. فهل كان ذلك بسبب تغيير الوصفة؟ بمعنى

آخر كيف تنظر لفكرة الجمهور؟ ذلك أن أي كاتب صاحب جمهور دائمًا ما يضع جمهوره في الحسبان، على عكس الكاتب المغمور أو المجرب القادم من المجهول؟

- أحب الناس كتابتي، لأنني جازفت، فكيف أتوقف عن المجازفة بعد نجاحي. مثلًا رواية "فيرتيجو" صدرت نهاية 2007، كانت تحمل شيئًا من المغامرة، فكيف حين أنجح أتخلى عن المجازفة؟ في هذه الحالة أصبح فقط مجرد شخص يريد أن يحافظ على رفوف المكتبات و"البيست سيلر"، دون الاهتمام بما أريده أنا ككاتب. الناس أصبحت تعرف مراد وتشتري رواياته، إذًا فلنجرب، تعال لنر مناطق جديدة، حتى لو لم يأت ذلك على هواك، ما ترفضه اليوم ربما تقبله في الغد. ويكفي أن تعرف أن رد الفعل على رواية "1919" الآن ونسبة المبيعات هي الأعلى بين كل رواياتي.

• الخط التاريخي الذي تميزت به أعمالك السابقة خصوصًا "1919" و"أرض الإله"، لم نره في رواية "موسم صيد الغزلان"، بعد أن انتقلت إلى عالم المستقبل في روايتك الأخيرة، ما سبب التغيير الآن، ولماذا اخترت رواية "الديستوبيا" تقنية جديدة تستخدمها؟

- بداية أختلف معك في أن الرواية هي من نوع "الديستوبيا" بمعنى أدب المدينة الفاسدة، فـ"موسم صيد الغزلان" رواية تدور أحداثها في مستقبل تم كتابتها بعناية "وببحوث علمية" ليقترب من المستقبل الحقيقي الذي قد نراه بعد 45 عامًا من الآن، فلا هو يوتوبيا مثالية ولا ديستوبيا لمدينة مظلمة، فقط هي رؤية لما ستؤول إليه

حياتنـا التـي ألقينا بذرتها اليوم، بتوحشـها وجمالها. أمـا عن اختياري المسـتقبل فليس هناك فرق عندي بين ماض وحاضر، فالحاضر يصير ماضيًا مع عقارب الساعة وكذلك المستقبل، بمعنى أنني هنا أستشرف "تاريخ المستقبل"، وهو فقط إطار زمني يضع الشخصيات في ظروف ومعطيات تساعد في بناء القصة وتضفي روح الإثارة على الأحداث.

• لمـاذا فضلـت أن يكـون بطل روايتك "موسـم صيـد الغزلان" عالمًا ملحدًا، حيث دارت أحداث الرواية بالكامل في ذلك الإطار؟

- الإلحـاد ليس شـيئًا نتـوارى منـه الآن ونعتبره غيـر موجود، فهو فيل في غرفة ضيقة، وبالتالي فالملحد شـخصية مؤثرة في العالم الذي نعيشـه، لماذا لا يتم تناولها؟ خاصة أن وجهة نظري ترى الملحد أكثر الأشخاص المهووسين بفكرة الإله والبحث عنه، وإلا فلماذا يلقي بالًا بالجدال والحديث لتبيان وجهة نظره وتوضيحها، وبالبحث والتنقيب حول الفكرة، أنا أجد الملحد شخصية درامية جريئة مثيرة؛ لأنها تواجه أشـد قناعاتنا صلابة بصدر مفتوح، وهـي موجودة ومتحققة ولها تأثير على المستوى العالمي.

• هل ذلك الاختيار إسقاط على انتشار ظاهرة التخلي عن الأديان في العصر الحالي، وهل معالجة القضية في زمن المسـتقبل تأتي تجنبًا لأي جدل قد يثار إن جعلنا زمن الرواية في العصر الحالي؟

- الدرامـا الروائية الجيدة قائمة على المبالغة، ولا أعني هنا مبالغة الأفـلام الهندية، بـل المبالغة القائمة على تحفيـز خيال القارئ ليعيش تجربـة لا تخطر على بالـه، بمعطيات يعرفها ويفهمهـا ولكن لا يدرك

نتائجها، لذلك اخترت المستقبل لنرى من خلالها ونتعايش ونتخيل إحساسًا عامًا بفقد الإله كفكرة، ماذا سيحدث؟ كيف سيتعامل البشر؟ لأترك للقارئ فرصة التفكير والبحث عن إجابات.

• تحدثت عن تنظيم دافا الإرهابي، اختصارًا لدولة الإسلام في ألمانيا وفرنسا، على غرار تنظيم "داعش" دولة الإسلام في العراق والشام، فهل ترى أن الإرهاب سوف يستمر وينتقل إلى أوروبا؟

- للأسف أعتقد ذلك؛ فالبيئة الأوروبية وجوانب الشخصية الغربية عامة تعد مادة خصبة للشخصيات المضطربة المتطرفة أكثر من المدن العربية التي استنزفت مقدراتها وشعوبها، والواقع يقول إن هناك تزايدًا للهجمات الإرهابية في فرنسا وألمانيا وبأن الوضع يسير من سيئ إلى أسوأ. تلك الكيانات ستحفر لنفسها جحورًا في الجسد الأوروبي ببساطة بسبب قلة الخبرة في التعامل الأمني، وعلو قدر الضحية الأوروبية ومدى تأثير موتها مقارنة بالعرب على المستوى الإعلامي، فهم يدركون أهمية الصدى المرعب في تأكيد سيطرتهم.

• هل تنظيمات مثل القاعدة وداعش تساعد على انتشار الإلحاد والتخلي على الدين؟

- بالطبع، فلكل فعل رد فعل مساو له في القوة ومضاد له في الاتجاه، فحين أرى تطرفًا دينيًا يجعل من كلام الإله أوامر للقتل والحكم والسيطرة على الشعوب، أدرك تمامًا أن هناك نفورًا على الجانب الآخر من فكرة الإله ككل، فللأسف كل طرف يضع الإله خلفه أو أمامه في معركته الإنسانية مع الآخر.

• حصرت المستقبل بين تفشي ظواهر التطرف وتعدد تنظيماته، إلى جانب انتشار الإلحاد وتدريس نظرياته بكل تلقائية في الجامعات والمعاهد العلمية، هل نعتبر أن ذلك توقعك للمستقبل؟

- توقع مبني على حقائق وأبحاث علمية وآراء مفكرين مؤثرين وعلماء في طبيعة البيولوجيا الإنسانية وعلم النفس، ولكن في النهاية يجب أن يلتفت القارئ إلى أن الرواية تقوم في الأساس على كسر النمط الحياتي الطبيعي والشذوذ عن الأحداث العادية، هل هناك رواية قائمة بدون مشكلة؟ بدون صراع؟ بدون أزمة؟ بالطبع لا.

* * *

أشرف العشماوي

"قل لهم ياحضرة الوكيل أن يقرؤوا هذه الروايات لمصلحة المجتمع أيضًا"، بهذه العبارة توجه نجيب محفوظ إلى وكيل النائب العام أثناء التحقيق معه في قضية محاولة اغتياله من قبل الجماعة الإسلامية، أكتوبر 1994، أصر نجيب أن يهدي قاتليه نسخًا موقعةً من أعماله، ربما أدركوا حجم الخطأ الذي ارتكبوه، لكن اللافت للانتباه أيضًا في ذلك الموقف أن المحقق في القضية، المستشار أشرف العشماوي، اتجه هو أيضًا لكتابة الرواية، بعد قضية محفوظ بأعوام، لينشر أولى رواياته عام 2012، تحت عنوان "تويا"، وزاد على ذلك أنها نافست على الجائزة العالمية للرواية العربية "بوكر"، ضمن القائمة الطويلة.

15 عامًا قضاها أشرف العشماوي وكيلًا للنائب العام بنيابة أمن الدولة العليا، بدأها أوائل التسعينيات، فترة ذروة العمل المسلح للجماعات الدينية المتطرفة في مصر، وساهم ذلك في عمل العشماوي على أشهر قضايا الإرهاب ومحاولات الاغتيال، بداية من محاولة اغتيال وزير الإعلام المصري صفوت الشريف، مرورًا

بمحاولـة اغتيال نجيب محفوظ، ومحاولات اغتيال الرئيس المصري السابق محمد حسني مبارك، وصولًا إلى حادثي طابا وشرم الشيخ.

وبيـن رحلـة القاضي والأديـب، كان لي هـذا الحوار مـع الكاتب والمستشار أشرف العشماوي:

• التحقـت بالعمـل فـي نيابـة أمن الدولـة العليا فـي ذروة صعود خطاب العنف الديني، ومحاولات الجماعة الإسـلامية للسـيطرة، فما أهم القضايا التي حققت فيها، وكان الطرف المدان عضوًا بالتنظيمات الدينية المتطرفة؟

- لا يمكننـي حصـر عـدد القضايـا التـي عملـت بهـا فـي مجـال الإرهـاب، فقـد اسـتمر عملـي بالنيابة قرابـة 15 عامًـا تقريبًـا متصلة، حققـت فـي كل قضايا الـرأي العـام وقتهـا؛ حققت في أغلـب قضايا الجماعة الإسـلامية وجماعة الجهاد المصرية، اسـتجوبت كثيرًا ممن قامـوا بارتكاب حـوادث إرهاب؛ سـواء قتل ضباط، أو قتل سـائحين أجانـب، أو محـاولات اغتيال مسـؤولين كبار، مثـل: عاطف صدقي، وصفوت الشـريف، وحسـن الألفي، وغيرهم، كنت أعمل 14 سـاعة يوميًا، وتقريبًا لا إجازات، اللهم أسبوعًا في العام لو أمكن، حققت مع عبـود الزمر في السـجن لاتهامه بتكوين خلية من داخل سـجن "طرة" لمن سيفرج عنهم قريبًا، لن أنسى يومها لما رأيت عشرات الشباب من المسـجونين والتابعين لجماعة الجهاد يصطفون أمام شـبابيك العنابر لرؤية زعيمهم وقائدهم، وهو يتريض بفناء السجن لمدة نصف ساعة،

شعبية طاغية وقوة تأثير هائلة، للأسف، لم توجه في الاتجاه الصحيح، لأسباب كثيرة، ربما لم يحن بعد ذكرها بالتفصيل.

• كنت المحقق في محاولة اغتيال الراحل نجيب محفوظ عام 1995، هل تذكر تفاصيل تلك القضية؟

- بالطبع، في هذا اليوم المشؤوم، الثامن عشر من أكتوبر 1995؛ انفعلت وتأثرت، وكأنها الحادثة الإرهابية الأولى، وغضبت وكأن المجني عليه أحد أقاربي، كنت في مستهل عامي الرابع في النيابة العامة، وتواجدت في مكتبي بالتزامن مع الحادث بالمصادفة، عندما أبلغني ضابط بمديرية أمن الجيزة باغتيال نجيب محفوظ، هكذا كان الخبر في بادئ الأمر قبل تصحيحه بعدها بقليل إلى محاولة اغتيال، في البداية لم أصدق، رغم أن دماء فرج فودة لم تبرد بعد، لكن السؤال الذي قفز إلى ذهني وقتها: لماذا نجيب محفوظ؟!

لم أربط الحادث بروايته الأشهر "أولاد حارتنا"؛ ربما لأنها لم تصدر في طبعة مصرية، ولم يكن يعرفها إلا المهتمون بالقراءة، وكانوا قلة وقتها، مع أن هذه الرواية من أهم حيثيات المحرضين والقتلة في حادث نجيب محفوظ، رويدًا رويدًا، بدأت الصورة تتضح، وخلال أيام قليلة كنا نستعد لاستجواب عشرات المتهمين؛ ما بين منفذين ومخططين ومحرضين، وأعضاء في تنظيم الجماعة الإسلامية؛ التي أفتى أميرها، عمر عبد الرحمن، وقتها بإهدار دم نجيب محفوظ، بسبب رواية "أولاد حارتنا"، التي أكاد أجزم عن يقين بعد التحقيقات،

أن أحـدًا منهـم لـم يقرأ سـطرًا واحدًا منها، بـل ربما لم يقـرأ أي منهم لمحفوظ أصلًا.

• مـا هـي اعترافـات المتهمين فـي الأيام الأولى مـن التحقيقات، وهل بالفعل المتهم بمحاولة اغتيال نجيب لا يقرأ ولا يكتب؟

- فـي الأيـام الأولـى للتحقيقـات؛ كنـت أتولـى اسـتجواب أحد المتهميـن المنفذيـن، ومحـرض، ومتهم ثالـث كان عضـوًا عاديًا في الجماعـة الإسـلامية، الأخيـران كانا قـد أنكـرا تمامًا التهـم الموجهة إليهما، فالتفت عنهما، ووليت وجهي شطر الأول، الذي نفذ الحادث، كان شابًا نحيلًا أصفر الوجه، أمرد، في بدايات العقد الثالث من عمره، قصير القامة، توحي ملامحه بالبؤس، وتشـي جبهته بضيق الأفق، كان قليل الحديث، لكن لما تكلم أيقنت أنني أمام شخص أجهل من دابة، ضحـل وفارغ حتى في أصول الفقه؛ بـل وفي الدقائق التي يدركها كل عضو في تنظيم الجماعة الإسـلامية في خطواته الأولى نحو التطرف، وهو ما جعلني أعتقد أكثر في شـكوكي، بـأن تلك الجماعة لا تضحي بأعضائها البارزين في هذه النوعية من العمليات.

روى لـي المتهم؛ أنه لـم يحضر الاجتماع التنظيمـي الذي تقرر به إهـدار دم نجيـب محفوظ؛ إنمـا تلقّـى التكليف بالاغتيـال من خلال أميـره المباشـر، المسـؤول عنـه فـي مجموعتـه العنقوديـة، الذيـن لا يعـرف سـواهم، حدد له الأمير في التكليف مَن سيشـاركه، والوسـيلة المسـتخدمة فـي القتـل، ووسـيلة الانتقـال، وخطـة ومـكان التنفيـذ والهروب بعد ذلك، استغرق رصد تحـركات نجيب محفوظ أقل من

شـهر؛ فهو شـديد الانضباط، روتيني للغاية، تكاد تضبط ساعتك على تحركاتـه، فلما تيقنوا مـن معاد الندوة الثابت، وعدم وجود أشـخاص بصحبته عند مغادرة منزله سوى فتحي هاشم، اختاروا أن يكون التنفيذ عنـد مدخل بيته بالعجـوزة، في موعد خروجه للندوة، كانت الوسـيلة سـلاحا ناريا (مسدسا)، لكن يومها ارتبك القاتل بسبب زحام المطعم الملاصق لمدخل بيت نجيب محفوظ، فتردّد في إطلاق النار، فأخرج مطـواة قـرن غـزال لا تفارق جيبـه، واقترب من محفـوظ وذبحه وهو ينطق الشهادتين بعد البسملة.

• اسـتوقفني نطـق الإرهابـي للشـهادتين بعد البسـملة أثنـاء ذبح محفوظ، هل هناك تفسير لذلك التصرف؟

- اسـتوقفتني تلـك النقطـة مـن أقوالـه، وسـألته عـن مغـزى نطق الشهادتين هنا: هل لأنه خاف أن يقتله المارة، فيكون قد نطقها، أم كان يلقنها لمحفوظ باعتباره كافرًا في نظرهم؟! فكانت إجابته بالثانية، هذا الشـاب المغيّب اعتقد أنه يحمل صكوك غفران؛ فتلا الشـهادتين على مسـامع محفوظ في اللحظة نفسـها التي كانت يـده تذبح رقبة الأديب العالمي، وكأنه حتى لا يريد منحه تلك الفرصة الأخيرة للتوبة، ومضى هاربًا مع زميله على دراجة نارية، مقتنعًا أنه قتل الرجل.

واكتشفت من خلال التحقيقات أن القاتل يعمل "نجار مسلح"، إن لم تخني الذاكرة، وكان لا يعرف القراءة أو الكتابة، وخلال جلسة التحقيق الأولى كان يخطئ في اسم المجني عليه قائلًا: محفوظ

نجيب! لم يكن يعرف أية معلومات عن أديبنا الكبير، سوى أنه كفر وكتب كتابًا يصف فيه الله بالبشر.

• بخصوص حديث النيابة مع نجيب محفوظ في المستشفى، ماذا كانت اعترافاته، وهل فعلًا أهدى المتهمين نسخًا من رواياته بتوقيعه؟

- بعدها بأسبوع، وربما أكثر قليلًا، كلفني المحامي العام للنيابة بالانتقال إلى مستشفى الشرطة، لسؤال المجني عليه "نجيب محفوظ"، بعد أن أخطرنا المستشفى بإمكانية سؤاله لمدة ساعة ونصف فقط، حتى لا يجهد، في ذلك اليوم كان بصحبته في الغرفة الأستاذ رجاء النقاش، ويوسف القعيد، ومحمد سلماوي.

في البداية؛ جلست أتحدث مع محفوظ في أمور عادية، عن صحته وأحواله وكتبه وجائزة "نوبل"، شعرت أن الكلام يهرب مني، وأنني أريد أن أستمع لا أن أتحدث، كان محفوظ واهنًا ضعيفًا، لكنه مع ذلك ظل محتفظًا بابتسامته المشهورة، ربما كانت متوارية قليلًا، لكنها موجودة، شعرت يومها برغبة جامحة في ألا أضيّع الوقت معه في التحقيق، خاصة أنني عرفت منه شفويًا، أنه لم يرَ القاتل، ولا يتذكر أي شيء، لكن بعد مرور ساعة تقريبًا، شعرت بتأنيب ضمير، وأنه لا بد لي من أن أسجل شهادته في التحقيقات، حتى لا أرهقه بزيارة ثانية.

فلما وجدني أتأهب لإعداد أوراقي، قطع عليّ الطريق، وفاجأني قائلًا على استحياء ممزوج بمكر: "هو أنا ممكن أسأل حضرتك سؤال

ياحضـرة الوكيـل، ولا أنت بـس اللي بتسـأل هنا؟"، قالهـا وضحك، اقتربت منه وقلت له مبتسمًا: "إذا أردت أن تسأل وأنا أجيب، حتى في المحضر الرسـمي، فلا مانع عندي على الإطلاق"، فبدأ يستفسـر مني عن سبب محاولة قتله.

فـي البدايـة، راوغـت وحاولـت أن أسـتخدم تعبيـرات إنشـائية، مثـل التي تسـتخدمها الصحـف الحكومية وقتها؛ مـن نوعية الإرهاب الأسود، واليد الغاشمة...إلخ، لكن مع إصراره قلت له: "بسبب رواية أولاد حارتنـا"، لـم يندهش محفـوظ، ربما لأنه كان يعلم من وسـائل الإعـلام وأصدقائه بـأن ذلك هو السـبب الظاهري، أو الشـكلي، إنما بادرني بسـؤال آخـر: وماذا قـرأ المتهمون لي أو لغيـري بخلاف تلك الرواية؟

أسقط في يدي بالطبع، لأنني لـم أجرؤ نفسيًا وإنسانيًا أن أقول له أن المتهـم لا يعرف القراءة أو الكتابـة، لا أعرف إذا ما كنت على صواب أو خطأ، هل لأنني شـعرت بعظمة وشموخ محفوظ، فرأيت ألا أخبره بحقيقـة المتهمين الأمّيين؟! لا أدري، لكن هذا ما حدث، لكن الرجل كان مصـرًّا على معرفة الحقيقة، فظل يسـألني، ليجد سـببًا منطقيًا، من وجهـة نظره، لمحاولـة قتله، فلم يكـن مقتنعًا بأن الروايـة وحدها هي السـبب، فأخبرته بما قاله المتهم في التحقيقـات عن الدافع لارتكاب الجريمـة؛ بأنها لمصلحة المجتمع في الخـلاص من كافر حتى يرتدع غيـره مـن الكافرين، فكان رد محفـوظ على ذلك الـكلام، أن أعطاني بعض رواياته، وطلب مني أن أهديها باسمه للمتهمين قائلًا: "قل لهم،

يـا حضرة الوكيل أن يقرؤوا هذه الروايـات لمصلحة المجتمع أيضًا"، وأعتقد أنه طلب من رجاء النقاش أن يكتب إهداءً على إحداها، ووقّعه باسم نجيب محفوظ.

• 12 عامًا هي المدة الفاصلة بين تحقيقك كوكيل للنائب العام في محاولة اغتيـال محفوظ، وتوجهك أنت أيضًا للكتابة كوسـيلة للتعبير والبوح، ونشرت أولى رواياتك عام 2012، حدثنا عن ذلك.

- بدأت الكتابة تحديدًا؛ في نهايات عام 1997، واسـتمرت عملية الكتابـة دون النشـر حتـى عـام 2010، أي قضيت 12 عامًـا أكتب دون الإقـدام علـى خطوة النشـر، أول رواية كتبـت كانت "تويـا"، ثم رواية "زمن الضباع" ثم "المرشد"، ثم "البارمان" عام 2010، وبدأت مشوار النشر مع الدار المصرية اللبنانية.

• في حوارات صحفية تحدثت عن دور الكتابة في تفريغ شحنات غضب بداخلك، كيف ذلك، ولماذا اخترت وسيلة الكتابة تحديدًا؟

- النمـوذج الأمثـل لذلك روايـة "زمن الضباع"، لـم يكن لدي نية الروايـة حين كتبتها، كانت أقرب إلى شـحنة غضـب داخلية، وضيق، وشـخصيات عرفتهـا وتعاملـت معهـا علـى مدار أعـوام كثيـرة جدًا، جميعهـا شـخصيات عامـة، لهـا صـورة معينة وانطبـاع لـدى الناس، وهـي فـي الحقيقـة مختلفة عـن ذلـك الانطبـاع تمامًـا، وأردت كتابة تلـك الحكايات، أردت كتابته بحسٍّ صحفـي، مثل التحقيق الصحفي الكاشـف، الذي نكشـف به الحقيقـة، وذلك لأن وظيفة وكيـل النيابة

قريبة جدًا من الصحفي الذي ينفذ تحقيقات صحفية، ومع بداية رغبتي في إخراج تلك الشحنة الغاضبة لجأت للرمزية، وذلك هو الأسلوب الذي يتخفى خلفه أي كاتب بسهولة، وكان الأنسب بالنسبة إلى تلك الشخصيات العامة التي تعاملت معها، البحث عن سبب غضبي من كل شخصية، ثم أرد ذلك إلى الحيوان المناسب لها، فقام البناء على وجود غابة افتراضية تعيش بداخلها مجموعة من الحيوانات، وعند استيقاظها صباحًا اكتشفت أن الأسد غاب عن عرينه، وتنازل عن الحكم، أو تم إقصاؤه، فحكم بدلًا عنه خرتيت.

لماذا الكتابة تحديدًا! مسألة لها أسبابها؛ عندما بدأت في الكتابة كنت في العقد الرابع، قبل ذلك كنت مجرد قارئ مستمتع بما يقرأ حبًا في المعرفة، بمرور الوقت، أصبحت القراءة جزءًا من روتين الحياة اليومية، ولم يخطر لي ببال أن أتحوّل إلى الكتابة، وحدث نتيجة تلك القراءة؛ أنني كنت أقدّم ملخصات للقضايا التي نعمل عليها، تسمى قائمة بأدلة الثبوت، نضع فيها الشهود وما قالوه، وأقوال المتهم، وأيضًا المجني عليه، وما أسفرت عنه تقارير النيابة أثناء معاينة مكان الحادث، وأيضًا ما أسفر عنه تقرير الطب الشرعيّ، مسألة أشبه بالمقدمة نضعها في ملف القضية، حتى يقرأها القاضي لتكوين فكرة مبدئية عما هو مقدم عليه، ثم يقرأ القضية بعد ذلك بالتفصيل، وفي أحد الأيام بعد إرسالي ذلك الملخص، طلبني رئيس النيابة وقال: "نحن نرسل القضايا للمحكمة من أجل الحكم فيها، وليس لتسلية القضاة بحكي الحكايات".

واستكمل رئيس النيابة: "أنت في ملخصك تصف المكان، وتصف الحالة النفسية للمتهم، والوصف بأسلوب سردي ووضع صور جمالية".

في الحقيقة، لم أكن أقصد الكتابة الأدبية عندما كتبت تلك الملخصات، ربما سردتها بتلك الطريقة الأدبية، نظرًا للقراءة المستمرة، ربما كان إحساس الكتابة داخلي، ولم أكن قد أدركته بعد، في تلك اللحظة بدأت أنتبه للكتابة.

• بدأت الكتابة من باب القصة، وليس الرواية، علمًا بأنّك لم تنشر سوى روايات.

– بدأت الكتابة من باب القصة القصيرة، وهي عشق خاص، وكتبت بالفعل قصة بعنوان "كلب الرجل العجوز"؛ "عن شخص مات كلبه، وخانته زوجته رغم ثقته الكبيرة فيها، فأصيب باكتئاب، فأحضرت زوجته كلبًا شبيهًا بكلبه الميت، فأدرك أن ذلك ليس كلبه، رغم التشابه بينهما"، وتقدمت بها في مسابقة نادي القصة، في ذلك الوقت كنت وكيل نيابة بمكتب النائب العام، فأدركت في تلك اللحظة أنه ربما تتم مجاملتي بحكم منصبي، واختيار قصتي ضمن القصص الفائزة، لذلك أرسلتها باسم مستعار، واخترت أن يكون شريفة كمال، طالبة بالفرقة الثانية بكلية الآداب، وأنشأت بريدًا إلكترونيًا بالاسم نفسه، وبالفعل فازت القصة بالمركز الثالث، وتحدد موعد لإعلان النتيجة وتسليم الجوائز، قبل إعلان النتيجة أرسل لي أحد النقاد الكبار، عبر البريد

الإلكتروني؛ أن القصة رائعة، وأثنى عليها بشـدة، فشكرته على كلماته فبدأ يتمادى في رسـائله بشـكل مبتذل، واسـتحال إلى عجوز متصابي يحاول الإيقاع بفتاة.

يـوم إعلان الجائـزة، ذهبت إلى نـادي القصة، وحين تم اسـتدعاء أصحـاب القصص الفائـزة، لـم أرد والتزمت الصمـت، ثم حدث أنني بعد أعوام من تلك القصة، بعد نشري لرواياتي الأولى، وعرفني الناس ككاتب روائي، التقيت بذلك الناقد، وعرضت عليه القصة نفسها التي منحها المركز الثالث سـابقًا، عندما أرسلتها باسم مستعار لفتاة، فقال: "إنهـا قصـة ضعيفة وسـيئة جـدًا، ولا تصلح، وأنصحك بعـدم كتابة قصص مرة أخرى".

أما بخصوص نشري للروايات فقط؛ ذلك لأنه لم تستهوني في ذلك الوقـت القصص القصيرة، رغـم أنني كتبت 21 قصة، لـم تنشـر، وذلك لأن فـن القصة القصيرة صعـب جدًا؛ فن الومضة والتكثيف الشـديد، وهـي مسـألة غير موجودة في فـن الرواية، فحتى لو كثفـت الكتابة في الرواية؛ فهي قماشة عريضة بطبيعتها.

• رغـم أن بدايات الكتابة كانت عام 1997 إلا أن قرار النشـر تأخر حتى عام 2012، لماذا قررت النشر في ذلك الوقت تحديدًا؟

- عام 2005 شـعرت أنني في حاجة ملحة إلى النشـر، فاستشـرت زميلًا في النيابة، فرفض بشكل قاطع، ونبهني إلى إمكانية رفض النائب العـام، علمًـا بأنه لا يوجد قانـون يمنع ذلك، فقـررت الذهاب للنائب

العام، وعندما أخبرته برغبتي في الكتابة ظن أنني أطلب الإذن بالكتابة في أحـد فروع القانون، فأوضحت له أنني أكتـب قصصًا، وليس كتابة أكاديميـة فـي فروع القانون، فقـال: "بالطبع لا، ذلـك كلام فارغ، أبعد فكرة النشر تلك عن ذهنك، أنت رجل نيابة متميز، ركز في عملك".

بعد ذلك الموقف بعامين تركت النيابة، والتحقت بسـلك القضاء، فقـررت البـدء فـي خطوة النشـر، فـي تلك الفتـرة كنـت أواظب على حضـور الندوات الأدبية في بعض الملتقيات، مثل: "ورشـة الزيتون"، و"أتيليه القاهرة"، وحدث أنني في أحد الأيام رأيت كاتبًا يناقش كتابه، ويومها تعامل معه النقاد بشـكل حادٍّ جدًا لـم أستسغه، فوضعت نفسي مكان ذلـك الكاتب، ورأيتني، وأنا وكيل نائـب عام وقاض، وأحدهم يوجه لي السـباب، معتقدًا أنه بذلك ينتقـد روايتي، فجنبت الفكرة عن ذهني لمدة عام تقريبًا.

بعـد ذلـك بفتـرة، قابلـت أنيـس منصـور، وأخبرتـه بمخاوفي من الكتابة، وسـردت له حكاية "الأتيليه"، فأخبرني بأن الله نفسـه اختلف عليـه النـاس، وطلب أن يقرأ مسـودة روايـة "زمن الضبـاع"، وبعد 25 يومًـا هاتفني أنيس منصور من مكتبه في الأهرام، وسـألني عن عملي، فارتبكـت من سـؤاله، فقلت له: "أنـا قاضٍ في محكمة بني سـويف"، فطلـب مني ترك القضاء ونشـر الرواية والتركيز فـي الكتابة، بعد ذلك بأربعـة أيام كتب عنها في عمـوده اليومي بجريدة الأهـرام، وقد عنون مقالـه بـ "زمن الضباع"، وبعدها بأيام هاتفتني أكبر ثلاث دور نشـر في القاهرة لنشـر الرواية، واتفقت مع الدار التي تنشـر أعمالي حاليًا على

توقيع عقد لمدة خمسة أعوام، بنشر جميع الروايات التي كتبتها خلال الأعوام السابقة.

• "تويـا"؛ كانت روايتك الأولى في عالم الكتابة، ورغم الانطباع السـائد عـن أخطـاء العمـل الأول، فإنهـا تمكنت مـن المنافسـة على القائمـة الطويلـة للجائزة العالميـة للرواية العربية "بوكـر"، كيف ترى ذلك، وكيف تلقّى النقاد في القاهرة العمل؟

- "تويا" أول رواية كتبتها، هي العمل الأول، بكل أخطائه وعيوبه، كتبتها عام 1997، ونشرت عام 2012، وعند وصولها للجائزة العالمية للروايـة العربيـة "بوكـر"، لـم أصدق الخبـر، حتى تلقيـت مكالمة من إنجلترا، من أحد أعضاء مجلس أمناء الجائزة.

أما بخصوص تلقي النقاد الخبر؛ فيجب أن تعرف بداية: أنه من أول "زمن الضباع" إلى ما قبل وصول رواية "تويا" لقائمة البوكر بيوم، كتِب عنـي حوالي 200 مقال جميعها إشـادة، فحتى ما قبـل الجائزة لم ألتق ناقـدًا أو صحفيًا انتقد العمل، ولـم أقرأ مقالًا يتضمن انتقادًا لما أكتب، وهي مسألة لا أفضلها؛ فالنقد الموضوعي، سواء السلبي أو الإيجابي، مفيـد، لكن وبمجرد ظهور الرواية في قائمـة "البوكر" الطويلة، تلقيت سيلًا من الشتائم، واتهامات بأنني لا أعرف الكتابة، واتهامات بأنني من خـارج الصندوق الأدبـي، ولا أعلم حتى الآن ما التهمة في أنني بدأت الكتابة بعيدًا عن المسارات المعتادة للمشهد الثقافي في القاهرة، التي تعتمد على الخروج من رحم أجيال سابقة.

الناقـد الوحيد الذي لم يتبدل موقفـه، الدكتور صلاح فضل، كتب مقـالًا يثني على الرواية فـي جريدة "الأهرام"، قبل الجائزة، ومقالًا في جريدة "المصري اليوم" بعد الجائزة.

• كيف تفسـر موقف النقاد والصحافة الثقافية من وصول روايتك "تويا" إلى قائمة "البوكر" الطويلة؟

- في الحقيقة، موقف النقاد والصحافة الثقافية في القاهرة لم أجد له تفسـيرًا؛ فأنا لا أفهم الوسـط الثقافي، ذلك أننـي أراهم بحال عندما يلتقون، وحال مغاير عندما يفترقون، وأراهم في مواقف معينة يسلكون اتجاهًا، وفي مواقف مشابهة يسلكون اتجاهًا مخالفًا، في اعتقادي هم منشغلون بمسائل أخرى غير الثقافة والكتابة.

أيضًا، كانت لي تجربة سـيئة جدًا مع الدكتور جابر عصفور، عندما قـرأ روايتـي "البارمان" مسـوّدة، عـن طريق دار النشـر، فأنـا لا أعرفه شـخصيًا، فأمسـك بالقلم وكتب على المسوّدة: "أشـرف العشماوي، خلال خمسة أعوام من الآن، سيكون أفضل روائي في العالم العربي"، لكن حدث أن طلب دكتور جابر بعض التغييرات في الرواية، لكنني لم أستجب لتلك التغييرات، فلسـت من الشخصيات السلسة في طلبات التغيير في مسـار رواياتي، وحدث أن صـدرت الرواية بكلمة للدكتور عـلاء الأسـواني على غلافها، بجـوار بعض الكلمات لأدبـاء آخرين، والأسـواني صديـق أعتز بصداقتـه، وتقدم الناشـر برواية غيـر روايتي لجائـزة معرض القاهرة الدولـي للكتاب دورة عام 2013، وكان رئيس

لجنـة التحكيم الكاتـب والروائي جمال الغيطاني، ومـن أعضاء لجنة التحكيم الدكتور حسـين حمـودة، وقامت اللجنة باسـتبعاد الروايات المقدمـة، واسـتخدمت صلاحياتها طبقًا للائحة الجائزة، واسـتدعت روايتـي، التي لم أكن قد تقدمت بها للجائزة، وكانت الرواية قبل ذلك بأيام قد باعت ثلاثة آلاف نسـخة في يوم واحد، وأحدثت صخبًا كبيرًا لفت انتباه الجميع.

إلـى جانب ذلك، فازت روايـة "البارمان" بجائـزة معرض القاهرة الدولـي للكتـاب، وأثناء اسـتلامها قال لي جمـال الغيطاني: "مبروك، لكـن يجـب أن تعلـم أن تلـك بدايـة وليسـت نهايـة، وإن كنـت فرحًا بالجائزة، وتظن أن ذلك نهاية المطاف فسـوف تفشـل"، قالها وتركني واقفًا مكاني.

بعد حصولي على الجائزة بأيام، تلقيت مكالمة صباحية من صديق، يخبرني فيها أن الدكتـور جابر عصفور كتب مقالًا في "الأهرام"، على مسـاحة نصف صفحة بعنـوان "الرواية الرائجة"، وأنـه أعلن عن جزء ثانٍ من المقال ينشـر قريبًا، وانتقد فيه رواية "البارمان"، وقال: "إننا في زمن الرواية الرائجة وزمن أشـرف العشـماوي"، والمقال بأكمله ضد الروايـة، فلـم أعلق على المقـال، وتلقيت مكالمة من الناشـر يخبرني فيهـا أن عصفـور أخبـره بأنه غاضـب من كلمـة علاء الأسـواني على غـلاف روايتـي، وأنني لـم أسـتجب لطلباتـه بالتغييـرات المطلوبة في الروايـة، وطلـب مني مهاتفـة عصفور في محاولة لإصـلاح الموقف،

لكنني رفضت مكالمته؛ فمن وجهة نظري: ما الذي يمكن قوله لشخص يسبني؟ بالنسبة إليّ الدكتور جابر قيمة وقامة وناقد كبير في مجاله، لكن لدي قناعة؛ أنه، أولًا وأخيرًا، قارئ قال رأيه في العمل.

بعد يومين من نشر مقال "زمن الرواية الرائجة"، تلقيت مكالمة من الدكتور جابر عصفور، يسألني فيها إن كنت قرأت المقال؟ فقلت: "نعم"، فقال: "وأغضبك بالطبع!"، فاندهشت من المكالمة، ثم عاد وقال: "تلك معركة أدبية والمفترض أن تردّ على مقالي"، فقلت: "في الحقيقة، أنا غير مهتم بمسألة المعارك الأدبية تلك، ولك الحق في كتابة ما تريد كتابته، وأظن أن هناك جزءًا ثانيًا، سوف ينشر من مقال زمن الرواية الرائجة"، فقال: "نعم، هناك جزء ثان، لكن يمكن الانتظار حتى نقرأ ردك على ما كتبت"، فقلت: "حضرتك لكَ الاستمرار في الكتابة كما تريد، فذلك رأيك أولًا وأخيرًا".

ثم حدث أن المقالة الثانية كانت أسوأ من الأولى، وكانت تحتوي شبه تطاول على شخصي، وحتى مع ذلك لم أصدر أي رد فعل على ما كتب.

الغريب؛ أنه كتب مقالًا ممتازًا عن روايتي "تذكرة وحيدة للقاهرة"، محتفيًا بشدة بالعمل في مقالين، وانتقد الرواية في مقال ثالث، حتى أصبحت غير مستوعب لما يحدث.

رغم موقف النقاد فقد كتب عني آخرون بشكل إيجابي وداعم بقوة، مثل: الناقد صلاح فضل، والروائيين إبراهيم عبد المجيد،

والراحل مكاوي سعيد، إلى جانب أن هناك رسالة دكتوراة عن أعمالي بجامعة الأزهر، ورسالة ماجستير في جامعة الدمام بالسعودية، والثالثة في الدار البيضاء بالمغرب، وهناك أيضًا رواية "تويا"، تدرَّس في كلية الآداب في جامعة قناة السويس.

• هل رحبت أسرة القاضي أشرف العشماوي بقرار الكتابة أم كانت هناك معارضة لتلك الخطوة؟

- والدي لم يكن مرحبًا بمسألة كتابتي للروايات، ولم يكن مرحبًا بمسألة النشر بداية، وأذكر اليوم الذي استلمت فيه النسخة الأولى من رواية كتبتها، أول شيء فعلته هو أنني ذهبت إلى والدي لأعطيه نسخة من الرواية، ووقّعت الرواية بأن ذلك مولودي الأول، وأنه حفيدك، ويجب أن تفتخر به، وكنت أحدثه وأنا منفعل بشدة، فما كان من والدي إلا أن طوى الرواية ووضعها جانبًا، غير أن والدتي أكثر من شجعني على مسألة الكتابة، أخبرتني أن والدي كان يقرأ رواياتي سرًا، لكنه لم يكن يظهر ذلك في العلن، وطلب مني أن أقطع له وعدًا بألا أترك القضاء، وكان ذلك الوعد أحد أسباب استمراري في القضاء إلى جانب الكتابة حتى الآن، ورغم أن الكتابة تحتاج إلى تفرغ تام كنت أتمنى الحصول عليه، إلا أنني فخور بأنني قاضٍ.

* * *

المحتويات

الصفحة

* * *



الأعمال الكاملة
t.me/kotbhm

BEST SELLER

شهدت السنوات الأخيرة صعود عدد من الظواهر الأدبية المتعلقة بالقراءة فى مصر، كان أهمها انتشار نوعية معينة من الكتابات، مثل أدب الرعب والخيال العلمي، والكتابات الرومانسية، وأدب السيرة الذاتية، وسطوة السوشيال ميديا التي أثرت بشكل كبير على حركة صناعة الكتاب والنشر في مصر، وفي كتاب "best seller - حكايات عن القراءة"، يحاول المؤلف رصد جميع الظواهر المتعلقة بحركة الكتابة والقراءة وتقديم قراءة لها بشكل بسيط بعيدًا عن تعقيدات الكتابة الأكاديمية.

ويقدم الكتاب شرحًا وافيًا لظاهرة "البيست سيلر" أو الكتب الأكثر مبيعًا، مع رصد لصعود تلك النوعية من الكتابات مع شرح لحقيقتها وهل هي الأكثر مبيعا بالفعل أم لا. هو كتاب مهم لكل مهتم بالقراءة في محاولة لمعرفة ما الذي حدث للقراءة منذ يناير 2011 وحتى الآن.



سامح فايز كاتب وصحفي مصري، من مواليد 1985. تخرج في كلية الحقوق جامعة عين شمس 2007. عمل بالمحاماة قبل أن يتفرغ للصحافة الثقافية، وعمل بأقسام الثقافة في صحف عديدة. صدر له: كتاب "جنة الإخوان: رحلة الخروج من الجماعة" سيرة ذاتية، ورواية "حجر السبع"، وكتاب "رحلة يوسف".

تصميم الغلاف: عبد الرحمن الصواف



للشراء عبر موقعنا
store.almasriah.com



الدار المصرية اللبنانية